

24

روايات مصرية الجيب

# فانتازيا فليدخل التنين !



Looloo

[www.helmelarab.net](http://www.helmelarab.net)

## مقدمة

اسمها ( عبير عبد الرحمن )

إنها لا تملك شيئاً من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..  
إن ( عبير ) ليست جميلة بأيّ مقياس ، ولا تجيد  
القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة  
ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسياً محترماً ..

إن ( عبير ) هي إنسانة عادية إلى درجة غير  
مسيبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها ..  
وتجعلها جديرة بأن تكون بطة السلسلة ..

لقد قابلت ( عبير ) ( شريف ) .. خبير الكمبيوتر  
الثرى الوسيم - والأهم من هذا - العبقري .. وكان  
( شريف ) وقتها يبحث عن فتاة عادية جداً ولا تملك  
أى نكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز ( صانع  
الأحلام ) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع  
ثقافة المرء ، وإعادة برمجةها فى صورة مغامرات  
متكاملة ..

ولأن ( عبير ) تقرأ كثيراً جداً .. ولأن عقلها مزدحم

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة  
المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين  
لا يمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء  
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كى  
يظل حياً .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل  
طبيعياً ..

تعالوا نلحق بوحدة ( سافارى ) فى ( الكامبيرون ) ..  
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب ( السافانا ) وننسلق  
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق ( سافارى ) ..

★ ★ ★

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءاً  
منه .. لكن هذا في مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جميعاً مع ( عبير ) إلى ( فانتازيا ) ..  
نضع حاجياتنا وهمومنا في القطار الذاهب إلى هناك ..  
هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات  
يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

## ١- ماذا تختارين ؟

عند الغروب بدأت الطقوس النهائية ..

وكان القوم واقفين يرمقون بذعر ما عساه يحدث ،  
(و عبير ) نفسها وقفت على بعد أمتار من ( جيانغ  
- سه ) ، تمضغ ضفيريها الطويلة في نهم وجزع ،  
بينما اشتعلت المشاعل في كل صوب لتعطى الكلمة  
الأخيرة لهذا الجو الكابوسي الخائق .. رائحة الشحم  
المحروق الممزوجة بالعرق ، والدخان الذي يهيج الحبال  
الصوتية ، وحرارة الجو الثقيلة .. ثم الوهج !

آه من الوهج الذهبي الكريه للنيران يرسم على  
الوجوه القلقة ألف ظل وظل ! ظلال تولد وتلاشى  
بذات السرعة الخاطفة التي يولد فيها هذا القبس  
أو يخبو ..

ومدت يدها إلى صدرها تتحسس القلادة .. تستطيع

أن تتخلص منها الآن .. تستطيع أن تلقىها فى أى مكان .. إنها تراث الأجداد وقسم مقدس ، لكن الضرورات تبيح المحظورات ..

مدت يدها إلى القلادة ، وعالجتها فى رفق .. ولكن .. آى ! إنها ساخنة كالنار ! إنها قطعة من حديد محمى يحرق الأنامل بلا رحمة ..

هذه لعنة يصعب الخلاص منها ، ولا يوجد مفر من أن تواجه قدرها بشجاعة ، وأن تتحدى التنين .. ومن يدرى ؟ لربما تظل حية كذلك ..

\* \* \*

بدأ كل شىء كما تعلمون برحلة فى ( فانتازيا ) مع المرشد ..

يتساءل البعض - ومعهم كل الحق فى ذلك - عن مصير الخطاب الذى وجدته ( عبير ) فى جيب ( شريف ) ، وكيف واجهت الأمر كله ؟ أقول لهم : إن ( عبير ) ليست من هؤلاء الذين يتخذون قرارات

قاطعة حاسمة بسهولة .. لقد أرجأت التفكير فى الأمر إلى ما بعد ، وقررت أن تؤخر لحظة المواجهة قدر الإمكان .. وكانت بطبيعتها تعرف أن المواجهة ستكون عنيفة باترة ، وأنها ستقول كلاماً شرساً ، ولنسوف يرد ( شريف ) بكلام أكثر شراسة .. إن الطلاق ذاته لم يعد مستحيلاً إلى هذا الحد ، خاصة أنها لن تصدق حرفاً مما سيقوله ( شريف ) ، ولكم ودت لو تصدق ..

وكانت ( عبير ) فى طفولتها تلجأ لواحدة من حيلتين ، كلما ضاقت بها السبل ولم تعرف كيف تواجه الواقع . كانت تندس فى سريرها وتقرأ حتى تحمر عيناها ، أو تندس فى سريرها وتحلم حتى يوقظها أحد .. وفى الحالتين كانت تحلم .. بعينين مفتوحتين أو مغلقتين .. المهم أنها تحلم وأنها تهرب من معركة الواقع .. سم هذا سلبية أو سمه جيئاً ، لكنه حل يصلح لـ ( عبير ) وحدها ولا يناسب سواها .. كانت تعرف أن المواجهة قادمة لا محالة ، لكنها

فضلت أن توجّلها قليلاً .. ودخلت فراشها صامتة  
ساهمة كسفة البال ، وراحت تتذكر مغامرتها على القمر  
مع ( جول فيرن ) و ( هـ . ج . ويلز ) ، بالطبع لأنها  
كانت آخر من يريد التفكير فى الواقع الآن ..

وصحت فى السادسة على بكاء الطفلة تريد شيئاً  
ما ، من الأشياء التى يبكى الأطفال دائماً بسببها فى  
السادسة صباحاً ، والتى - للأسف - لا يعرف كاتب  
هذه السطور شيئاً عنها ، لأنه يفضل أن يكون  
مسئولاً عن وشق الإستبس ، ولا يكون مسئولاً عن  
رعاية رضيع ..

فى العاشرة حملت الطفلة على نراعها ونزلت إلى  
السوبر ماركت القريب ؛ لتبتاع لوازم الغداء ، ثم  
عادت فطعت شيئاً ما بشكل مرتجل ، وكانت الطفلة  
قد قررت أن تظفر بنوم الظهيرة المعتاد .. النوم  
الذى يبدأ فى الثابتة عشرة ظهراً ويستمر حتى  
الثالثة بعد الظهر ..

( شريف ) - الوغد - لن يعود قبل الخامسة مساءً ،

وفى الغالب سيكون هذا هو الوقت ليعطى تفسيراً ..  
والتفسير لن يقنعها حتماً ، ولنسوف يكون هناك الكثير  
من الصراخ والهستيريا ، ولنسوف نطلب أختها  
ويطلب هو أمه فى الغالب ، وبعدها لن يكون مفر من  
اشتعال البنزين ، لأن القادمين لن يمارسوا دور  
المصلحين الاجتماعيين طبعاً .. تبّاً لـ ( شريف ) ..  
إنه هو المسئول عن كل هذا ..

وهكذا قررت أنها بحاجة إلى القليل من ( فانتازيا ) ..  
القليل منها جداً قبل أن تأتى ( لحظة الحقيقة ) ..

إن ( فانتازيا ) هى المهرب الوحيد أمامها الآن  
فى عالم مصمم على أن يقهرها ويحطمها .. حيث  
لا يوجد سوى سبيلين للفرار : إلى أعلى أو إلى داخل  
الكمبيوتر ، حيث عالم الأحلام الافتراضى ينتظر ..

جلست على المقعد المختار ، وكانت تعرف أن  
المغامرة لن تستغرق أكثر من ساعة على الأرجح ..  
لن تصحو الطفلة لأنها لم تفعل هذا منذ ولدت ..

ثبتت الأقطاب على رأسها ، وضغطت على مفتاح  
الإدخال ، وبدأ ( دى - جى - ٣ ) يمارس مهمته  
الساحرة ..

\* \* \*

ومن وسط الضباب يلوح لها المرشد قادما فى  
تؤدة ، وكان يلوح بعضا صغيرة من الأبنوس عليها  
بضعة زخارف ، ومن بعيد يقف قطار ( فانتازيا )  
المضحك ، والدخان يتصاعد من مدخنته الأمامية ،  
وهدير المحركات لا ينقطع ..

سألته مشيرة إلى العصا :

- « أين القلم ؟ »

- « ضاع .. إن الأقلام تضيع مثل أى شىء آخر »

- « هذا لحسن حظى .. لا بد أنك شفيت من داء  
الـ ( تك تك تك ! ) »

- « ليس تماما »

ولدهشتها وجدت أن الطرف العلوى للعصا  
يستخدم كقداحة ، وكان هذا مصدر التسلية الجديد  
للرجل .. راح يشعل القداحة ويطفئها ملايين المرات  
حتى حطم أعصابها تماما ، وخطر لها أن القلم كان  
أكثر رحمة ..

مد يده كأمراء القصص المصورة يساعدها على  
ركوب القطار ، ثم طرق سقف العربة بطرف العصا ،  
فبدأ القطار يتحرك ببطء ، وراح يشق طريقه وسط  
أرض الأحلام التى صنعها الحالمون عبر العصور ..  
ومن حين لآخر .. توووووووووت ! ليسعد  
الأطفال لو كان أحدهم هنا ..

قال لها فى خبث :

- « يبدو أن مزاجك سيئ حقا اليوم .. »

- « إنه أسوأ مزاج يمكن للسان بشرى أن يصفه .. »

- « لم أعد أراك إلا فى حالة نفسية سيئة .. »

- « لأن ( فانتازيا ) هى الهرب .. ونحن لا نهرب

إلا من خطر داهم يتهددنا ، فلو كان الواقع أجمل لما  
رأيت وجهي هنا أبدا .. »

تنهد وقال وهو ينظر من النافذة :

- « كما يقول ( كامى ) : ليست مشكلة الحياة  
أنها كريهة لا تنطاق .. المشكلة أنها كان يمكن أن  
تكون أفضل بكثير .. ما علينا .. هل اتخذت قرارا  
بصدد مغامرة اليوم ؟ »

فكرت قليلاً وحكّت شعرها .. نظرت خارج النافذة ،  
فأرت ( زورو ) بعباءته السوداء يبارز مجموعة من  
الجنود المكسيكيين الأوغاد ، وبعد خطوات قليلة  
تتقدم ( أندروميذا ) العذراء الجميلة إلى البحر قرباناً  
لسلأخ التنين ( كراكون ) المتحمس ، الذى أرسله  
مادة ( الأوليمب ) انتقاماً من غرور أمها الحسناء  
( كاسيوبيا ) . وكل العذارى فى الأساطير الإغريقية  
لا نفع لهن عموماً إلا كقرايين ..

بعد هذا ، ترى ( عنترة ) العيسى يتقدم قافلة الألف

نافذة عائداً من عند ( كسرى ) ، والألف نافذة بالطبع  
هى مهر ( عيلة ) .. وفى مكان آخر يقتاد الجنود  
( ديمترى كرامازوف ) بتهمة قتل أبيه وهو لم  
يفعلها ، وتلقى ( أنا كارنينا ) بنفسها تحت القطار  
هرباً من حب فاشل ، وينقض اللصوص على ( أكاي  
أكاكيفيتش ) ليسلبوه المعطف الذى كان يحلم به من  
أول سطر فى قصة ( جوجول ) الشهيرة ..

( أوليفر تويست ) يبحث عن حافظة بنشئها ،  
وهو يجهل تماماً فن النشل ، لكنه يخشى أن يضربه  
اليهودى ( فاجن ) .. و...

كانت هناك مدينة صينية قديمة .. الناس  
يحتشدون بعيونهم الضيقة ، يرمقون فى انبهار  
المواجهة الرهيبة بين فتى عارى الصدر ، له  
ضفيرة طويلة تتدلى على ظهره ، وعجوز أشيب  
يرتدى ما يشبه العنامة الزرقاء الواسعة . وها هو ذا  
الصراع بينهما يبدأ بوثبات لا يمكن أن تصدقها ما لم  
ترها .. وعلى سبيل إظهار القوة يهوى العجوز

يسيف يده على جذع شجرة فيشطره إلى نصفين ،  
فيبصق الفتى فى كفيه ويطلق صرخة مروعة ..

- « ما هذا العالم يا مرشد ؟ »

نظر من النافذة وتثأب ، ثم قال :

- « هذا عالم الرياضات الآسيوية القتالية .. عالم  
الكونج فو والجيدو والكاراتى والجيجوتسو والـ ... »

- « هل هذا نوع أدبى معروف ؟ »

- « بل هو عالم سينمائى بالكامل .. من الواضح  
أنك كنت تهوين تلك الأفلام فى الماضى .. لم تر مصر  
أى فيلم كاراتى حتى الآن ! »

- « يا سلام ! وماذا عن كل الأفلام الملأى بالزعرار  
الذين يتبادلون الركلات ويتصايحون : هى .. هو ..  
هاه ؟ »

ابتسم فى ثقة كعادته حين يصحح معلومة :

- « هذه أفلام ( كونج - فو ) فى الواقع ، لكن

غير الخبراء - وهم رجال الشارع فى حالتنا هذه -  
لا يفرقون بين رياضة آسيوية وأخرى .. إن الغرب لم  
يكن يعرف شيئاً عن هذه الأمور ، حتى فوجئ بفيلم  
قادم من ( هونج كونج ) اسمه ( الرئيس الكبير ) ،  
وكان بطله شاباً صينياً نحيلاً اسمه ( بروس لى ) ..  
وهنا أدرك الموزعون أنهم أصابوا منجماً من ذهب ،  
وسرعان ما بدأت دبلجة تلك الأفلام ، وصارت  
( هونج كونج ) تنتجها فى خطوط جميع - كأنها  
سيارات - حتى إن تصوير بعض الأفلام كان يتم فى  
أسبوع .. النتيجة هى أن حمى ( الكونج - فو ) أصابت  
العالم بأسره ، وغدا ( بروس لى ) أسطورة ، وفتحت له  
السينما الأمريكية ذراعيها ، حتى إن عدد الأفلام التى  
قام بها بعد موته يفوق كل ما قام به وهو حى !! »  
- « كيف ؟ »

- « إنهم مزورون بارعون .. وهم يلعبون على  
حقيقة أن الآسيويين يشابهون بالنسبة للمشاهد الغربى ،  
وبالتالى يصلح أى شخص نحيل أصفر كى يفتح المشاهد



النسخة الرديئة التى ليس لها سوى لونين : الأصفر  
والبنى الخشنين المليئين بالخدوش .. وأمكنها - برغم  
قلة ما رأت - أن تميز نوعين من تلكم الأفلام :

أفلام رعا ( هونج كونج ) ذوى القمصان المشجرة ،  
الذين يضربون المارة فى الشوارع ، ويهربون المخدرات  
ويتحرشون بالنساء طيلة اليوم .. وأفلام ( الخان  
الأعظم ) التى تدور أحداثها فى الصين القديمة ،  
حيث الحكماء بلحاهم الطويلة والأميرات الجميلات  
ذوات الضفائر ، والسيوف المسحورة ..

من هنا - تذكرت - جاءت كل هذه الخبرات عن  
هذه الأفلام ، وأدركت أن المغامرة فى هذا العالم هى  
- من جديد - مغامرة من تلك التى لا تستند إلى نص  
أدبى أو تاريخى ، ومثلما حدث فى مغامرتها مع  
الغرب الأمريكى .. لم لا ؟ إن السينما تشكل الكثير  
من وجدان إنسان العصر سلباً أو إيجاباً ، ويقال إن  
التليفزيون لعب اليوم فى حياة الغربيين نفس ما كان  
يلعبه ( ديكنز ) فى حياتهم قديماً ..

أنه ( بروس لى ) .. بل واعتمدت بعض الأفلام على  
لقطات كبيرة مأخوذة من أفلام ( بروس لى ) الحقيقية ،  
تدمج دمجاً مع ممثلين آخرين يتصارعون .. المهم أن  
هذه الأفلام بيعت كالكمك الساخن .. على كل حال لم  
تعد تلك الأفلام بالنجاح القديم لها ، وصارت الأفلام  
الحديثة - على غرار أفلام ( جاكى شان ) - لا تأخذ  
نفسها بجدية مطلقة .. إنها أفلام صنعت بالكامل من  
أجل المرح .. »

كأت ( عبير ) تتذكر .. لقد رأت بعض هذه الأفلام  
بالفعل مع خالها ، وكان هو يعتبرها أعمالاً مقدسة  
لا تحتل مجرد المناقشة ، وبالنسبة له كان  
( بروس لى ) وسواه أشخاصاً حميمين جداً كأنهم  
من نفس شلة الحارة .. بينما هى بطبيعتها الحاملة  
لم تفهم كل هذه الجاذبية فى أناس يضربون بعضهم  
حتى تسيل دماؤهم أو تنفجر بطونهم .. ولم تفهم قط  
فيلمًا واحدًا منها بضمير مستريح ؛ لأن مقص الرقيب  
كان يمارس عمله بحرية تامة .. دعك بالطبع من

لِمَ لا تجرب ؟ إن ( فانتازيا ) قادرة على جعلها تعيش المغامرة بتفاصيلها بدلاً من أن تنتقدها .. وعلى كل حال لابد من الاختيار ، وهى زاهدة اليوم كل الزهد فى الاحتمالات الأخرى التى رأتها حتى الآن ..

- « دعنى أجرب هنا يا ( مرشد ) .. »

ثم رفعت إصبعها منذرة :

- « لكن دعنى ألعب دورًا إيجابيًا .. إن النساء فى هذه القصص لا يتجاوزن دورهن دور الضحايا الصارخات معذومات الحيلة .. كأنهن دجاج ينتظر الذبح .. أريد أن ألعب دورًا .. »

- « سأفكر فى هذا .. أحسنت إذ أخبرتنى مسبقًا .. »

وشد الحبل ليووقف القطار ..

ومن هنا بدأت مغامرة جديدة ..

\* \* \*

## ٢ - المعلم ..

الآن هى ترتدى ما يشبه العنامة الزرقاء الواسعة ، وعلى كتفها تتدلى صغيرة جميلة غزيرة الشعر ، طالما اشتبهتها فى مراقبتها .. قدماها الدقيقتان فى خف قماشى مريح ، وتعرف أن اسمها ( فو - لى ) .. لا بأس .. إنه اسم سهل النطق يمكن أن يعلق بالذاكرة .. وتذكر أنها رقيقة جميلة خفيفة الحركة ..

إنها تدخل مدينة .. مدينة تُمّت لعالم الشرق الأقصى طبعًا .. معابد بوذية وكونفوشيوسية فى كل صوب وسوق - دائماً السوق فى بداية كل مغامرة لها فى ( فانتازيا ) - وفرسان ، ونساء يحملن الماء على أكتافهن بتلك العصا ، التى تحمل قربة عند كل طرف .. عربات ريكشا يركبها أثرياء يرفلون فى الحرير ، ويجرها فتية ناحلون ممزقو الثياب يعاتون سوء التغذية ..

المشهد يذكرها بالنوع الثاني من أفلام القتل الآسيوي :  
أفلام الخان الأعظم التي تقع في الصين ذاتها في فترة ما  
من تاريخها ، قبل أن يطيح ( صن يات صن ) بكل  
الباطرة السابقين .. والطريف في الأمر أن كل شيء  
كان مصبوغاً باللون الأصفر والبني كما اعتادت في  
تلك الأفلام .. حتى أوراق الشجر كانت بنية اللون ..

كل شيء حولها مزخرف جميل .. وكل شيء عامة  
في الصين له طابع صيني زخرفي لا تخطئه العين ..  
حتى الطيور المحلقة والدجاج والأشجار وأسقف البيوت ..  
كأنما رسمت كلها بريشة منقطة بالحبر الصيني ..

تتوقف عند بائع البرتقال لتأمل البرتقال الأنيق ..  
أروع برتقال يمكن أن تراه في حياتك ..

يغريها البائع ببضاعته ، فيتكلم بتلك الطريقة  
الشبيهة برنين الأجراس ، والتي تفهمها كالعادة :

- « هلا جريت أفضل برتقال في المدينة المسحورة  
أيتها الحسناء الغربية ؟ ما اسمك ؟ »

- « اسمي ( فو - لي ) .. وليست معي نقود .. »

من الممتع أن تفهم الحوار مباشرة دون ترجمة  
على الصدور ، أو دوبلاج يجعل حركات الشفاه غير  
متسقة مع مخارج الأحرف ..

يمد يده لها ببرتقالة ، وينحنى بعنف :

- « هي لك مكافأة على هاتين الغمازتين .. »

مدت يدها لتأخذ البرتقالة شاكرة ، فقط عندما  
بدأت المتاعب ..

\* \* \*

والمتعاب الجديدة هنا لم تتخذ شكل خيول راكضة  
أو كلب مسعور أو حصان ثائر - كما هي العادة في  
( فاتتازيا ) - ولكن اتخذت شكل مجموعة من  
الأوغاد ..

كيف عرفت أنهم أوغاد ؟ هذا سهل تماماً  
ولا يحتاج إلى موهبة .. الأوغاد هم الأوغاد سواء  
في حارتها أو في الغرب الأمريكي أو في المدينة  
المسحورة كما دعاها البائع .. نفس الضحكة

السمجة والمشية المتناقلة الممتدة والعينين الآثمتين  
المليئتتين بالسايكوبائية .. أطلق الياتع سبة صينية لم  
تفهمها ، وتراجع للوراء ، بينما الأوغاد يتسلون بركل  
السلال هنا وهناك ، وتوجيه بعض الصفعات إلى  
أفقية الشيوخ ، وما إلى ذلك من النشاطات المحببة  
للرعا ع حول العالم ..

أخيراً وجدوها ، وكان من المحتم أن يتحرشوا بها ..  
أولهم - وزعيمهم - دنا منها فى ثقة ، وهو يلوك  
شيئاً ما ، ثم مد يداً وقحة يتحسس بها شعرها ،  
وقال :

- « ما رأيكم يا رفاق ؟ بحق السيف الذى سيطير  
عنقى إنها لغندورة .. »

أبعدت يده فى عصبية ، لكنه بدا مستمتعاً بكل  
هذا .. ومن وراء منضدة البيع صاح الياتع :

- « (سونج بياو ) ! دع هذه الفتاة فإنها ليست  
من طرازك ! »

بصق ما كان يلوكه فإذا بها بعض الزلاية ، وقال  
وهو يرمق الشيخ :

- « وما طرازى ؟ حذار أيها الشيخ .. إنك توشك  
على إثارة حنقى .. »

وصاح صائح منهم :

- « لماذا لا نصحبها معنا يا ( سونج بياو ) ؟ إننا  
سنحكى لها الكثير من قصص ما قبل النوم !! »

ومعه انفجروا ضاحكين على الدعاية القوية ، وخطر  
لـ ( عبير ) المذعورة أن دعاية الصينيين عسيرة  
الفهم حقاً ؛ فهم ينفجرون ضحكاً بلا سبب أحياناً ..

الموقف سيئ .. فالحقيقة أنهم يحيطون بها تماماً  
الآن ، وعددهم لن يقل عن العشرة بحال .. والناس  
فى السوق تظاهروا بأنهم لا يرون شيئاً ، واصطنع  
كل منهم أدناً من طين وأخرى من عجين ..

وجدت ثغرة ما فى صفوفهم ، فأحنث قامتها  
واندلعت كالوشق تحاول عبورها ، فقط لتجد وغداً

منهم يقف فى وجهها ، ويتحسس قلبه كأنما طعن فيه ، بحركة هيام تمثيلية ، فينفجر الجميع ضحكاً ..  
 أما من نهاية لهذا الموقف ؟ لابد من نهاية ما ..  
 تجرب ثغرة أخرى ، لكنهم أحبوا هذه اللعبة ، وسرعان ما أغلقوها أمامها .. لا مقر من هنا ..  
 ولسوف يظل الناس صامتين مسالمين حتى يحملها هؤلاء الأوغاد إلى وكرهم حملاً .. قررت أن تبدأ العراك .. إن المرأة تملك سلاحين يتأارين هما أظفارها وأسنانها ، وبهما تستطيع أن تهزم الجيوش ..  
 ليكن .. ستعض وتخمش وتركل .. ثم ..

هنا ظهر العجوز ( هياو - شى - فاتج ) ..

\* \* \*

منحنى القامة كأنه جذع شجرة عجوز .. لحيتته توشك أن تلمس الأرض فيتعثّر فيها .. ثيابه أقرب إلى الأسمال .. تجاعيد وجهه كأرض عرفت الجفاف دهوراً ..

يدنو منهم ، ويضع قبضتيه المرتجفتين فى خصره ، ويقول بصوت واهن :

- « ( سونج بياو ) ادع الفتاة وكف عن هذا السخف .. »

يا لك من شجاع يا جدى ! لكن لا تتعب نفسك .. فهؤلاء الأوغاد لن يتركوك من أجل شيخوختك .. إنهم يضربون الشيوخ بحماس ، وقد رأينا الكثير من هذا منذ ثوان ..

لكن - الغريب - بدا شيء من اهتزاز الثقة على وجه الفتى ومن حوله .. لقد تراجعوا للوراء بضع خطوات ، ولمحت - لذهولها - رجفة واضحة فى ساقى أحدهم .. وقال ( سونج بياو ) وهو يهز كفه :

- « ( هياو - شى - فاتج ) .. لا شأن لنا بك ولا شأن لك بنا .. نحن قد شربنا الكثير من الجعة ، وقد دفعنا هذا لطلب بعض المرح .. لا شيء .. »

قال الشيخ فى ثبات وهو يتقدم نحو الفتية :

- « إن مرحكم يذكرني إلى حد ما بقطع الطريق ..  
ولئن لم تنتهوا الآن .. »

- « نعرف .. نعرف .. معذرة يا ( هياو - شى -  
فاتج ) .. »

وفي الثانية التالية كانوا قد اختفوا من السوق  
تماماً ..

من هو هذا الـ ( هياو - شى - فاتج ) ؟ هل هو  
الحاكم ؟ لا أحد سوى الحاكم يملك هذه السلطة  
القوية .. لا يمكن أن يكون أباً واحداً منهم ؛ لأن  
صيغة الحوار لا توحى بهذا .. ونظرت - متسائلة - إلى  
البائع الذي كان الآن راكعاً خلف المنضدة تحسباً  
للقاتل القادم ، وسألته :

- « من ( هياو - شى - فاتج ) هذا ؟ وما سلطته  
على هؤلاء الفتية ؟ »

نهض مطمئناً ، وقال وهو يعيد تنسيق البرتقال  
الذي سقط أرضاً :



يبدو سيئاً ، وبضع قبضتيه المرتجفتين في خصره ، ويقول بصوت واهن :  
« ( سوج - بيار ) ادع القاتل وكف عن هذا السخف .. »

- « سلطة القوة طبعا !! »

- « هذا الشيخ ؟ إنه مومياء تم تركيب محرك لها ..  
أكاد أحسب أن عامين مرا على وفاته .. »

قذف برتقالة فى الهواء وتلقفها ، ثم ناولها إياها ،  
وضحك متهكما :

- « حين رأيته قائما اعتبرت هؤلاء الأوغاد موتى ..  
إنه ليوم حظهم فى الأبراج .. »

- « لم تجبني عن سؤالى عن كنه هذا الـ ( هياو -  
شى - فاتج ) .. »

نظر إلى بعيد حيث كان العجوز يبتعد فى وهن ،  
وقال :

- « إنه أستاذ القتال بطريقة ( تشوب سيوى ) .. »

\* \* \*

وتواصل ( عبير ) جولاتها فى السوق الذى صار  
آمنا الآن ، ولم تستطع أن تبعد عن ذهنها صورة

العجوز ( هياو - شى - فاتج ) الذى تحدى عشرة من  
البلطجية ، بمجرد القوة النفسية لا أكثر .. أما عن  
طريقة ( تشوب سيوى ) هذه فلا تعرفها ولا يهمهما  
أن تعرفها .. إن كل شخص فى هذه البلدان فى هذا  
الزمن ، قد اتخذ لنفسه على ما يبدو أسلوبا منفردا  
فى القتال ، وهى لا تفهم هذه الأمور .. ثمة رياضات  
يركلون فيها أكثر من اللازم ، وأخرى يصرخون  
فيها أكثر من اللازم ، ورياضات يصيحون فيها :  
كاييبييى ! ، وأخرى يصيحون فيها بصوت رفيع  
كالسحلية : هيببى ! ليس لديها المزاج الرائق كى  
تتذكر كل هذا ..

لكنها كانت متأكدة من شىء واحد : لو كان هذا  
الزمن خطرا إلى هذا الحد ، فمن الطبيعى جدا أن يتعلم  
كل إنسان كيف يبقى حيا يوما آخر .. ترى كيف يبدو  
حاكم هذه البلاد ؟ وكيف يسيطر على كل هؤلاء البلطجية  
الذين هم شعبة ؟ بالتأكيد هو أبرع من يلعب الكونج فو  
هنا ، وهو قادر على هزيمة كل معارضيه .. لا توجد  
شرعية أخرى لحكمه على ما يبدو ..

كانت هناك مجموعة من الأطفال - الأوغاد  
بالمناسبة - يتسلّون بقذف الحجارة على كلب صغير  
أجرب باتس ، وكان المسكين يحاول الفرار أو التكتشير  
عن أنيابه ، لكن الحصار أرغمه على أن يقف  
وظهره لجدار ، فراح يطلق ذلك العواء الشبيه  
بالصرير والذي يمزق نياط أقيى القلوب .. لكن من  
قال إن الصبية لهم قلوب أصلاً فضلاً عن أن تكون  
لهم نياط ؟

هرعت إليهم وصاحت منذرة بالويل ، وقالت  
أشياء على غرار : بس يا ولد منك له ! وصفعت  
اثنتين منهم بخفة على الكتف .. لو كانت في حارثها  
لقذفت ماء الغسيل المتسخ عليهم ، وأمرتهم باللعب  
في مكان آخر ..

تفرقوا وهم يطلقون عبارات السباب  
الكونفوشيوسى البليغ ، فتجاهلتهن وانحنى تربّت  
على المخلوق المتص القدر .. متسخ هذا صحيح ،  
ولكن من قال : إن النظافة حق للمنبذين ؟

حملته دون حذر .. لو كان أجرب حقاً فهي في  
مشكلة ، لكنها لا تنبألى أمام عذابه .. واتجهت إلى  
امرأة تضع قطعاً من لحم الدجاج النيء على منضدة  
أمامها .. وطلبت منها قطعة ..

بدا التردد على المرأة ، فوضعت ( عير ) البرتقالة  
أمامها على سبيل المقايضة .. ناولتها المرأة قطعة  
دامية من الجلد التصق بها بعض الريش واللحم ،  
فأخذتها إلى جوار جدار ووضعتها أمام الكائن المتص ..  
كان جائعاً كالبعوضة الصغيرة ، وراح يزدرد في لهفة  
كمن يتوقع أن يحرم من هذا الترف في أية لحظة ..  
استدارت إلى المرأة تفكر في أن تشد منها قطعة  
أخرى ، هنا وجدت المرأة تنظر إلى ما وراء الجدار ،  
في شيء من التوتر والتهيب ..

كان ( هياو - شى - فاتج ) واقفاً هناك يرمق  
المشهد بعينه الغائمتين العجوزتين ..  
فتحت فاهاً لتتكلم ، لكنه تكلم أولاً .. قال لها في  
رضا :



- « القوة الحقيقية هي في حب ما لا يجرو الفاتون على حبه .. إن القوة التي تكمن في الرفق بكلب أجرب منبوذ لقادرة على تحريك الجبال ، وتبديل مسار الشهب .. »

لم تفهم تماما .. لكنها أدركت أنه يمتدحها ؛ لأنها اعتنت بالكلب .. وقال لها قيل أن تتكلم من جديد :

- « هذا هو كلبى ! »

- « لا يدهشنى هذا كثيرا .. »

وأرادت أن تصارحه برأيها في عنايته المفرطة بالحيوانات ، لكنه قال لها :

- « إنه امتحان لمن يصلحون ، وهو دائما في السوق هنا يتصيد المارة ، ودعيني أخبرك أن أحدا لم يجتز الاختبار منذ عشر سنوات .. إنهم يشمنزون منه أو يقذفونه بحجر ، ولم يخطر ببال أحد أن اليناس جانع .. »

كان الكلب قد فرغ من الطعام ، فلقق بسيده وذيله يهتز ، كأنما يبرهن على صدق كلامه ، وراح يلحق

أسمائه - الاثنان في حاجة إلى عناية فائقة : الكلب وسيده ..

- « ما اسمك يا ذات الغمازتين ؟ »

- « ( فو - لى ) .. »

- « وأنا ( هياو - شى - فاتج ) .. لكنك اليوم ستناديننى باسم ( المعلم ) .. »

- « ولد .. لماذا ؟ »

- « لأن يمامة مثلك لا تستطيع الحياة وسط هذا العالم ، من دون أن تتعلم شراسة النمر ، وأنا أعلم شراسة النمر فقط لمن أجد أنه يستحقها .. وأنت تستحقين .. أنا وكلبى نعرف أنك تستحقين !! »

★ ★ ★

### ٣- التلميذة والمدرسة ..

هكذا يمكن أن نقول : إن ( عبير ) لحقت بالمعلم في بيته .. وكان بلا أسرة ولا خدم .. بيت صيني عتيق فقير جدًا ، لكن له ما يشبه الفناء الخلفي حيث يجلس الرجل ، ليقرأ تلك الكتب الغليظة مصفرة الأوراق التي تركها الأجداد .. وكان يأتي ببعض التمارين هناك ، لكن القسط الأكبر من التمارين كان يمارسه عند البحر ، الذي - كالعادة - يصل إليه عن طريق ممر سرى تحت الأرض ..

كان عجوزًا جدًا ، ولم تدرك مدى تقدمه في السن إلا حين استطاعت أن تدرس وجهه عن كثب .. أشار لها إلى بساط على الأرض ، وقال :

- « هنا تنامين يا ( فو - لي ) .. »

وأشار إلى خرقة ممزقة ، وقال بنفس الوقار :

- « وبهذا تتدثرين .. »

ثم أشار إلى سلطانية خزفية صغيرة بها ما بدا لها كأنه أرز مسلوق تم عجنه بقبضة اليد :

- « ومن هذا تأكلين .. »

وصب بعض الشاي الأخضر البارد في سلطانية مماثلة وقال :

- « ومن هذا تشربين .. »

يا للروعة ! يا للترف ! إنها عرفت الفقر وتعذبت به ، لكن أكثر خيالاتها جموحًا لم يصل إلى هذه الدرجة .. فلو كان هذا المعلم يحاول تدريبها على حياة الشحاذين ، فمن حقها أن تخبره برأيها في هذا العز كله ..

قال لها وقد سمع ما تقول في ذهنها :

- « الكبر .. يجب كسر الكبر .. أما الترف فسم ينبغي الخلاص منه ؛ حتى تجد الحكمة أرضًا تنبت فيها .. إن النقشف تريافك ، وعليك أن ترشفيه ببطء وتلذذ .. »

هزت رأسها ، فلم يرق لها الكلام ، لكنها كانت  
بحق راغبة فى الاستمرار ، ومعرفة لماذا يملك هذا  
العجوز كل هذا النفوذ ..

فما إن جلست ، ومضغت أول قضة من العجين  
الكريه ، ورشفت أول جرعة من السائل المر ، حتى  
صارت تنتمى لعالم هذا الرجل ..

\* \* \*

وقف على الشاطئ والريح تطير ثوبه الطويل ،  
وتجعل شعر حاجبيه الكث ينسدل على عينيه ،  
وصغيرها يجعلها لا تسمع حرفاً مما يقول ، لكنها  
تخمنه .. إنه يحمل قدحاً من الشاي الساخن بين  
أنامله ، ويقول لها :

- « ه .. ا .. فو .. ها .. نى .. »

بالطبع هو يقول لها : « هيا يا ( فو - لى ) ..  
هاجمينى » .. هذا طبيعى لأنه ما من طريقة أخرى  
لملاء الفجوات بين الحروف .. لذا تلوح ( فو - لى )

بالمذراة التى تحملها ، وهى شبيهة بالتى يحملها  
الشيطان فى الصور ، وتنقض عليه قاصدة صدره ،  
لكن العجوز يتملص منها إلى اليمين دون أن يبذل من  
وضع ساقيه أو يهز جذعه .. فتهجم من جديد لكنه يثربى  
جذعه للجهة الأخرى ، وينتهاز الفرصة ليرشف فى تلذذ  
رشفة من الشاي .. تنقض بغنف حتى ليحدث سلاحها  
صغيراً وهو يشق الهواء ، لكنه من جديد يتحرك برشاقة  
إلى الخلف .. أمام .. يمين .. خلف .. يثب .. ينحنى ..  
خلف .. أمام .. أسفل .. يمين .. يسار ..

ثم يرشف رشفة أخرى من الشاي ..

تقف أمامه تلهث ككلب فى أغسطس ، وترمقه فى  
غل .. الآن لن تجد عسراً فى تحطيم رأسه فقط  
لو أعطاها الفرصة .. يقول لها وهو يواصل رشف  
الشاي الذى لم تتسكب منه قطرة واحدة :

- « الأعصاب .. الأعصاب .. السيطرة على كل خيط  
منها ، والقتال بالعقل لا بالجسد .. هذا هو ما تعظمناه  
من ( زن ) ، وعليك أن تتعلميه منى .. »

ثم رشف آخر جرعة من الشاي الساخن ، وقال :

- « عليك أن تتعلمي أن القتال لا ينتهي .. »

وفي الثانية التالية قذف القذح في الهواء ، وطار

- لا تدرى كيف - لينزع المنراة من يدها بركة صغيرة ،

ثم عاد إلى مكانه ليتلقى القذح قبل أن يسقط فيتهشم ..

ويواصل جملته :

- « .. إلا حين تقول غرائك إنه انتهى .. »

قالت في غيظ وهي تجاهد من أجل التنفس :

- « هه هه .. هل هذا هو دوري فقط ؟ أن أبرهن

لك كم أنك بارع ؟ هل أنا مجرد أداة للتدريب ؟ »

- « صبراً يا (فو - لي) صبراً .. أنت الآن ارتكبت

ثلاثة أخطاء .. »

في غل قالت :

- « حقاً ؟ لم أدر أنني بهذه الوقاحة من قبل .. »

- « أولاً تساعلت عن دورك ، والتلميذ لا يسأل المعلم

عن دوره ، بل يؤديه خير أداء .. وثانياً تكلمت بوقاحة

مع معلمك .. فهل كلمت أمك بهذه اللهجة من قبل ؟

إن الأم تساوى عشرة آباء ، بينما المعلم يساوى

أربعين أمّاً .. »

- « هذان خطآن لا أكثر .. »

- « الخطأ الثالث هو أنك غضبي .. وحينما تكونين

غضبي يستطيع طفل أن يخدعك .. »

ولوح بقذح الشاي الذي كان يجمعه ، وأردف :

- « لو لم يعمك الغضب ، للاحظت أن القذح كان

فارغاً لا يحوى شيئاً من الشاي ، وأنتى كنت أنتظهر

بالشرب .. خيالك جعلك ترين الشاي الساخن والبخار

يتصاعد منه ، وجعلك تشعرين بمذاقه وحرارته .. »

أسقط في يدها ، وشعرت برغبة عارمة في البكاء ،

وسألت بصوت مختنق :

- « حسن .. أنا غبية جاهلة .. أليس كذلك ؟ سأرحل

الآن .. »

تقلصت ملامح وجهه فى ابتسامة ، ذكرتها  
بالباذنجانة الفاسدة عند الخضرى ، تلك التى تحولت  
إلى كرة من التجاعيد وقال لها :

- « لا أراك غيبة ولا جاهلة .. فقط صداً كثير يكسو  
روحك من جراء غمسها فى مستنقع المادية ، وسوف  
أزيل هذا الصداً كي تعود روحك براءة كما خلقت ..  
عندها تدركين أن للروح البراقة جسداً خاصاً بها ،  
له خفة النمر وشجاعة النسر وقوة الدب .. »

وهكذا تحملت ( عجير ) الكثير جداً .. ما كانت تحب  
هذه التشبيهات المعقدة التى يستخدمها الصينيون  
واليابانيون ، وما كانت لتهوى هذا السيل المنهمر  
من قطوف الحكمة ، لكنها قررت أن تضغط على  
أعصابها ..

وتتعلم ..

\* \* \*

لم تكن أيامها مع ( هياو - شى - فاتج ) سينة إلى  
هذا الحد .. كان الرجل طيب القلب حقاً ، وقد زهد  
كل أشكال متع الحياة ، وبالتالي زهد كل الأشياء التى  
تجعلنا أشراراً حين تصطم مصالحنا بمصالح الآخرين ..  
لقد وصل إلى من يسميه بوذا بالـ ( كارما ) .. لكنه  
كان يكره القسوة والشر ، وأسلوب من يؤذون  
الآخرين لا لشيء إلا لأنهم يقدرّون على ذلك ، ولقد  
حسبت ( عجير ) نفسها خارج الموضوع تماماً .. فهذه  
الكلمات تغنى البلطجية والسفاحين ورجال العصابات .  
لكنه أخبرها بأنها مثلهم إن لم تكن أسوأ .. ألم  
تحاول أمس أن تقتل تلك الحشرة التى وجدتها على  
حشيتها ؟ هنا رأت المعلم يرفع يده محتجاً :

- « هل هى مؤذية ؟ هل هى سامة أو يمكن أن  
تكون ؟ »

قالت فى ضيق وهى تلوح بالشبشب الذى امتشقته :

- « لا أدري .. لكنها مقززة على كل حال ، وهذا

سبب كاف فى رأى كى .. »

- « هي كذلك تراك مقرزة .. ربما أكثر منها ..  
لكنك أكبر وأقوى ، وهذا ما يهيك - كما تتخيلين - حقاً  
فى أن تسلبها حياتها التى لا تملك سواها .. ربما لم  
يكن ( سونج - بياو ) شريراً إلى هذا الحد حين  
ضابقت فى السوق ، لأنك فتاة وضعيفة ! كان هذا  
سبباً كافياً فى رأيه .. »

شعرت بخجل وتخلت عن سلاحها الشبشبى ..  
ستترك الحشرة المرعبة وشأتها .. إن حياتها مع  
المعلم هي مجموعة من الأخطاء التى يتم تصحيحها ..  
لكنها - نعترف - كانت تتحسن يوماً بعد يوم فى  
أدائها الجسدى ، كأنما تلك الدروس الأخلاقية تصب  
فى عضلاتها ، ولا أدرى كيف ..

★ ★ ★

وهاهى ذى تفق على الشاطئ فى الموضع المختار  
للتدريب .. يقول لها ملوِّحاً بعصاه :

- « ابدنى يا ( فو - لى ) ! »

فتبدأ ..

والبدء هو مجموعة من الحركات المتواصلة على  
سبيل ( التسخين ) .. ثم يندمج المعلم فينزل لها إلى  
الحنبة ، ويهاجمها بعصاه التى يطوِّحها فى الهواء  
وينقلها من يد ليد كالأبالسة ، فتتفادها .. تثب فى  
الهواء وتوجه له ركلة لا بأس بها أبداً ، لكنه  
يحجبها بقبضته عن وجهه .. و .. و .. كما قلت  
لكم إن وصف القتال ممل حقاً ، وهو من اللحظات  
القليلة التى أقتنع فيها بالمثل ( إن صورة واحدة  
تغنى عن ألف كلمة ) ، ذلك المثل الذى لم أقتنع به  
قط ، وما زلت أجده سخيفاً ..

الخلاصة كما ترون أن ( عبير ) تتحسن .. تتحسن  
بشكل لا يصدق .. خاصة لو تذكرنا أن هذه نتيجة  
سبعة أشهر من المرن لا أكثر ..

إن أسلوب ( تشوب سيوى ) - الذى ورث أسرارهِ  
( هياو - شى - فانج ) عن أجداده العظام - شبيه  
إلى حد كبير بما نسميه اليوم برياضة ( التايكوندو ) ..

أو هو يبدو كذلك لغير المتخصص ، لكن الاعتماد على القبضات أكثر نوعًا ، ولها أسماء مختلفة تحاول تقريب كل قبضة إلى ذهن من يسمع الاسم .. رأس الكبش .. العنكبوت .. النتين .. الثعبان .. الجندب .. إلخ .. طبعا أنا عاجز عن تمييز هذه القبضات ، لكن (عبير) تستطيع .. بالإضافة لهذا هي الآن تعرف أهم عشر نقاط حساسة في الجسم البشري ، وبشكل يفوق خبرة أى معالج بالإبر الصينية .. إنها تعرف البوابات العشر التى تجتازها الأحاسيس كي تبلغ الروح ، وتعرف كيف تغلقها بضربات مختارة ..

إنها تعرف الصرخة المختارة التى تجعد الدم فى عروق الخصم ، وتعرف أنها لن تطلقها إلا حين تنفذ كل أسلحتها .. إنها تعرف كيف تتحكم فى مشاعر الخوف والغضب ، وكيف تأخذ شهيقًا عميقًا تتخيل معه - بل تدرك - أنها احتوت النرفانا الحيوية فى الكون داخل رئتيها ، وتشعر بها تسرى مع الدم إلى كل خلية منها .. ومع النرفانا تدنو ببطء من حقائق



ثم يندمج المعلم فينزل لها إلى الخلبة ، ويهاجمها بعصاه التى بطوحها فى الهواء وينقلها من يد ليد كالآباله ..

الأشياء ، وتستطيع أن تفهم كيف تثب الذبابة من فوق المنضدة حين تهوى بقبضتك عليها ..

إنها تعرف أن خصومها - مهما بلغ عددهم - ضعفاء جدًا واهنون جدًا ، وتوشك على الشعور بالشفقة من أجلهم ؛ لأنهم حمقى لا يدركون مغبة تحدى من يجيد أسلوب ( تشوب سيوى ) ..

إنها تعرف أن مهمتها لا تقتصر على أن تكون أقوى .. عليها أن تكون أفضل .. وعليها أن تدخر قواها لغرض لا تعرفه بالضبط ، لكنها تعرف أنه موجود ..

\* \* \*

## ٤- سرنا الرهيب ..

أخيرًا يجلس المعلم العظيم ( هياو - شى - فاتج ) يشرب الشاي الأخضر ، وهو دائمًا يشرب الشاي حين يكون راضيًا .. ثمّة صبية يلعبون أمام الدار ويتصايحون ويفذفون القاذورات على بعضهم .. تقدم للمعلم بعض الأسماك المجففة المملحة على سبيل ( البسكويت ) فيمد يده إلى الطبق ، ويلقى بواحدة إلى الكلب الأجرب الذى يبصبص بذيله ، ويقول :

- « هوه هوه .. لم يكن ( شنج - لى - موه - فونج ) مخطئًا .. »

و ( شنج - لى - موه - فونج ) هو - عدم المواخذه - الكلب ذاته ، وهو اسم جدير به على كل حال ، ويردف العجوز :

- « أنت حقًا مناسبة جدًا لتعلم الـ ( تشوب



سيوى ) ، وقد أبليت بلاءً حسناً ، وكنت بمثابة ابنة  
لى .. لقد تلقيت العلم كما تتلقى الأرض الصادية  
مياه ( الياض تسي ) ، وإننى لأباركك يا ( فو - لى )  
ذات الغمازتين .. »

فتجنثو على ركبتيها وتلثم أطراف ثوبه الممزق ..  
هنا ينعقد حاجباه حتى يصيرا حاجبا واحداً كئياً ،  
ويقول :

- « لكنى الآن فى مرحلة الشتاء ، وقد وهن قلبى ..  
وأعرف أن ( هياو - شى - فانج ) لن يعيش ليرى  
طير السنونو مرة أخرى .. فلم يبق وقت إلا ليعلمك  
أهم الدروس كافة »

قالت له كلاماً مما معناه : الشر بره وبعيد ..  
وسوف تعيش لتدفننا جميعاً .. ولا تقل هذا يا رجل ..  
لكنه قاطعها فى حزم وهو يشرب المزيد من الشاي :

- « ( جيانغ - سه ) .. اللتين الحاكم .. حذار من  
( جيانغ - سه ) »

وكانت ( عبير ) قد سمعته كثيراً يتكلم عن المدعو  
( جيانغ - سه ) حاكم المدينة الشهير باسم ( اللتين ) ..  
لكنه كان يتكلم عنه بنفس الصيغة التى نستعيز فيها بالله  
من الشيطان الرجيم .. واضح أن ( جيانغ - سه )  
لا يمثل إلا الشر المطلق فى هذا العالم ..

- « والأدهى أنه أبو ( سونج - بياو ) الذى تحرش  
بك فى السوق ذلك اليوم .. »

هزت رأسها فى فهم .. إذن توجد عداوة قديمة  
بين العجوز و ( جيانغ - سه ) هذا ..

- « قد طلب منى أن ألقن أسلوبى لولده لكنى أبيت ،  
وقلت له : إن تعليم الأفعى كيف تلدغ ليس عملى ..  
وإن طريقتى لا يعرفها إلا من اختاره أنا .. عرض على  
الذهب .. الكثير منه .. وعرض على الجوارى ..  
الكثير منهن . وعرض على النفوذ كل النفوذ ..  
لكنى قلت له : إن كل ما أريد هو أن أجلس فى فناء  
دارى ، أداعب قلبى الأجرب وألثم العصيدة .. »

- « وتركت وشأتك ؟ »

- « بالطبع لا .. لقد أرسل لى عشرة من رجاله  
المسلحين فى مساء يوم صيفى جميل .. »

- « وهزمتهم ؟ »

- « بل هزمونى ! »

وارتجف حاجباه وتجمدت دمعة فى عينيه ،  
فسألته ( عبير ) :

- « كانوا أقوىاء إلى هذا الحد ؟ »

- « بل كانوا ضعفاء إلى أقصى حد .. نعم هزمتهم  
فى القتال ، لكنى هزمت أنا نفسى حين عجزت عن  
كبح جماح غضبى ، وأرديت خمسة منهم قتلى ! »  
تهددت ( عبير ) الصعداء .. حقاً هى بحاجة إلى  
قرن كامل كى تتعلم التفكير بطريقة هذا الرجل ..  
ما زالت الهزيمة بالنسبة لها لا تغنى سوى تلقى علفة  
محترمة .. أما هذا النوع من الهزائم المعنوية فـ ...  
قال مواصلاً اعترافه المشين :

- « إن الهزيمة أمام الغضب أشد خزيًا من ألف  
هزيمة بيد الأعداء ، وقد كفت عن تناول الشاى لمدة  
عامين تكفيراً عن أرواح هؤلاء الأبرياء .. »

ومد يده فى صدره بين أسمائه يبحث عن شىء ما ،  
وأخرجه فى النهاية ، فوضعه فى كفها ..

كانت قلادة من معدن نفيس فى حجم الكف ..  
بالأحرى كانت نصف قلادة قد شطرت إلى نصفين  
عرضيين ، وعلى المعدن حفرت بعض النقوش الصينية  
التي لم تستطع فهمها ..

سألها :

- « ما هذا الذى ترين ؟ »

تأملتها فى غباء ، وقالت :

- « قلادة .. نصف قلادة لو أردنا الدقة .. »

قال فى تودة وهو يشرب المزيد من الشاى :

- « أنت لا تجيدين القراءة .. وهذا هو الشىء الذى

ثم يسع العمر لأعلمه لك ، لكن لو أجدت القراءة  
لوجدت أن هذه لغة صينية قديمة جداً تنتمي إلى  
عهد أسلافنا العظام .. »

★ ★ ★

« قليلون من الناس من يعرفون أن تصف هذه  
القلادة معلق الآن حول عنق ( جيانغ - سه ) ، أما  
من يعرفون أن النصف الآخر حول عنقي أنا فائشان  
لا أكثر : أنا وأنت .. وكنا منذ دقيقة واحداً لا أكثر ..

« والقصة تعود إلى نحو قرن ، حين جاء ساحر  
هندي شرير إلى المدينة ، وكان يحمل تلك القلادة  
فى عنقه . ورأى الناس كيف استعملها ، وفى أية  
أشياء جربها ، حتى إن اسم المدينة تغير ليكون  
( المدينة المسحورة ) إلى الأبد . وكان ما كان .. لقد  
تسللوا ليلاً إلى خبائه فضربوا عنقه ، وحاولوا  
الخلاص من هذه القلادة بكل السبل الممكنة ، لكنها  
كانت تحمل سحراً قوياً ، وكانت مصممة على

الظهور دائماً .. يبدو أنها لا تترك أحداً يحملها إلى  
خارج المدينة أبداً .. لكن الناس إذ حاولوا تحطيمها  
وجدوا أنها قابلة للكسر إلى نصفين لا أكثر ، وكلا  
النصفين يأبى مغادرة المدينة ..

« كان القرار الذى اتخذه الحاكم - وهو أبو ( جيانغ -  
سه ) - أن يضع هو نصف القلادة حول عنقه ، ثم  
ألقي بالنصف الآخر خارج قصره ، وأعلن أن على  
واحد من الأخيار أن يأخذ نصف القلادة الآخر خفية ..  
يأخذه دون أن يعرف أحد أنه فعل ..

« الفكرة هنا أن ما كتب على القلادة رهيب ، ويفتح  
أبواباً من الشر لم يحلم بها الحكماء قط .. لكن امتلاك  
أحد النصفين يترك المالك فى حالة من عدم الفهم : لأن  
معنى النص غير كامل .. فقط حين يلتحم النصفان يكتمل  
الهول ويعرف الإنسان ما لم يكن له أن يعرف ..

« لك أن تتوقعى أن أهل المدينة أحجموا جميعاً  
عن التقاط النصف الملقى أمام القصر .. إلا أن طفلاً  
وجد قطعة المعدن هذه وهو يلهو ساعة الغروب ،  
وقرر الاحتفاظ بها لأن مظهرها راق له ..

« بالطبع أنت تعرفين الآن من كان هذا الطفل ،  
وتعرفين سر هذه القلادة .. القلادة التي احتفظ بها الغلام  
تسعين عاماً دون أن يعرف أحد أنها معه .. وفيما  
بعد أدرك أنه قام بالعمل الصحيح .. »

وارتجفت شفتا العجوز قليلاً ، وقال في وهن :

- « لكن الإنسان يموت ، ولنسوف يحملونني وقتها إلى  
المحرقة لأحول إلى رماد .. عندها ستمتد يد عابثة  
إلى الرماد لتخرج منه نصف قلادة ذات أهمية خاصة ..  
لا أريد لهذه اليد أن تكون يد ( جياتغ - سه ) أبداً .. »  
- « ولكن أبا ( جياتغ - سه ) هو صاحب الفكرة ،  
وكان بوسعه أن .. »

- « كان رجلاً خيراً يوقد البخور للماتشو .. أعرف  
جيداً أنه لم يحاول فهم المكتوب على القلادة الكاملة ..  
أما ولده فهو شيطان رجيم ، وقد قرر أنه بحاجة إلى  
القوة ، والقوة لا تكتمل من دون النصف الآخر  
للقلادة .. لهذا هو يقلب الأرض بحثاً عن هذا

النصف ، وهو لا يعرف إن كان قد فقد أم أنه حول  
عنق رجل ما .. لو وجد ( جياتغ - سه ) هذا النصف ،  
فلسوف ترتجف الأجنة في بطون أمهاتهم لهول  
ما سيسمعون .. »

قالت دون تفكير :

- « ولماذا لا تعدم هذا النصف ؟ »

لأنما قال لها :

- « أنت لا تصفين لما أقول .. قلت : إنه من  
المستحيل تدمير هذه القلادة أو إخراجها من المدينة .. »  
ثم رفع عينيه الغامتتين إلى ( عبير ) وقال :

- « تعرفين الآن يا ( فو - لي ) لماذا اخترت أن  
أمنحك هذه القوة قبل أن أموت .. إن القلادة من  
الآن مسئوليتك وميراث الشرف في عنقك .. »

## ٥ - فليدخل التنين !

نترك ( عبير ) وأستاذها العجوز ، وتوغل بالكامير  
فى مكان رهيب ليس من السهل أن تروره لولا ما تمنحه  
لك السينما - والآب أحياناً - من قدرة على اختراق  
الجدران ..

نحن الآن فى قصر الشرير ( جيانغ - سه ) حاكم  
المدينة المسحورة .. كيف يبدو قصر حاكم صينى  
شرير ؟ كما تتخيلونه بالضبط وأسوأ .. إنها مجموعة  
من الممرات المزدانة بالمشاعل ، وحراس ضخام  
الأجساد يرتدون الدروع المزخرفة غريبة الشكل ، وأقبية  
يحرقون فيها السجناء - الأبرياء دائماً - بالنار ، وقاعة  
كبيرة تتأجج فيها النيران يجلس فيها ( جيانغ - سه )  
محاطاً بالمحظيات والحكماء المنافقين ، والحراس  
الضخام عراة الصدور الذين يحملون سيوفاً فى طول

قامتك ، والذين لهم شوارب تتدلى على جانبي الفم  
من طراز (جنكيز خان ) ..

طبعاً شعار التنين الصينى الملتوى مرسوم على  
كل الجدران ، وعلى دروع الحراس ، وعلى صدر  
( جيانغ - سه ) نفسه ..

لا تحاول استفزازه لأنه متعكر المزاج جداً اليوم ،  
ليس من مصلحة من يرغب فى الاحتفاظ بعنقه فترة  
أطول أن يذنو منه الآن ..

أمامه يقف ذلك الحكيم الأصلع يرتجف فرقاً ،  
وعن يمينه يرقد نمره الأليف يلحق مخالبه كقط ،  
ويتلمظ انتهاءً لتعس الحظ التالى الذى سيأمر التنين  
بالقضاء عليه .. للأسف لم يكن مذاق هذا الفلاح  
الذى التهمه صباح اليوم محبباً .. لربما يعد اليوم  
بوجبة أفضل وأكثر دسامة ..

- « وبعد ؟ »

يقولها التنين وهو يعبث بخنجره الشرقى المتعرج

ذى المنحنيات الست فى أسنانه .. يمكننا الآن أن نتأمله  
فى رعب .. إنه يرتدى ما يشبه ( الكيمونو ) الأسود ،  
وله وجه جدير بالشياطين ، وشاربين طويلين منسدلين  
يذكراك بالأنفاعة ، وحاجبين كثين كحاجبي وشق  
الإستبس .. الحقيقة هى أن قليلاً جداً من الأشرار  
يمكن أن يحملوا على وجوههم ما يحملون فى قلوبهم ،  
بهذا الوضوح الفج .. ملامح من الصعب أن تصدق  
وجودها ، تنتمى لذلك المكياج اللفظ المضحك الذى  
يضعه الأشرار فى أفلام ( الكونج - فو ) إياها ..

يقول الحكيم المرتجف وهو - طبعا - يرتجف :

- « للأسف أيها التنين العظيم .. لم نجد لدى  
النجوم السر الذى سألتنا إياه .. »

فينظر التنين إلى أحد رجاله ممن يشبهون ثيران  
الجر :

- « وأنتم ؟ هل من أخبار ؟ »

فيقول ثور الجر فى هلع :

- « لا أيها التنين .. لقد فتشنا المدينة بيتاً بيتاً  
ويمكن القول باطمئنان إنه لا قلادة هناك .. »

- « لا تكن متفاخراً أيها الخنزير .. لا أحد يمكنه القول  
إنه لا قلادة ، لأن القلادة أسهل شىء فى إخفائها ..  
إنها كالسر الذى تداريه فى ضميرك ، فلا يقدر أى  
تفتيش على العثور عليه من دون تعذيب ! »

وضغط على العبارة الأخيرة وقد رافت له :

- « من دون تعذيب .. »

يقول ثور الجر وقد تحركت روماتسيته المرهفة  
إذ سمع لفظة ( تعذيب ) ، بنفس الطريقة التى تجيش بها  
مشاعرك حين تسمع ألفاظ ( نسيم - ربيع - غروب ) :

- « المشكلة أيها التنين أن تعذيب المدينة بأسرها  
سيكون عسيراً بعض الشئ .. »

- « هذا هو عملنا .. ننجزه مهما كان شاقاً ، لأن  
الثمار لا تمنح للناعسين تحت أشجار السرو .. »  
ومد يده يتحسس نصف القلادة المتلصق من عنقه ..

كانت مشكلة أبيه الدائمة هي افتقاره لبعد النظر ..  
تخيل رجلاً يجد تلك القلادة بين يديه ، وبرغم هذا  
لا يحاول استجلاء أسرارها ، ويكسرهما إلى نصفين ،  
ثم يتخلص من أحد النصفين دون أن يكلف نفسه  
بمعرفة صاحب الحظ السعيد ..

وحين جاء ( جيانغ - سه ) إلى عالمنا هذا ،  
أدرك أن له هدفاً واحداً مقدساً لن يحيد عنه أبداً :  
أن يكون شريراً .. أن يخيف الأبرياء والضعفاء ، وأن  
يجعل حياة الأخيار جحيماً .. وهو شيء كان سيحير  
علماء الاجتماع جميعاً الذين تساءلوا إن كانت الشخصية  
الشريرة نتاج الوراثة أو البيئة ، ولم يكن الأمران  
صحيحين بالنسبة لـ ( جيانغ - سه ) .. لكن هذا  
يناسب المقولة الشهيرة : قد يجيء من ظهر العالم  
فاسد .. والحق أنه كان فاسداً .. فاسداً من نفس  
العجينة العبقريّة التي منها جاء ( هتلر ) و ( هولاكو )  
وخط الصعيد .. لكن الشر بدون قوة لا معنى له .. وكان  
( جيانغ - سه ) بحاجة إلى القوة ، وقد عرف من

الأسلاف والشيوخ مقدار تلك القوة السديمية التي  
تمنحها القلادة الكاملة لمن يملكها .. لكن من له  
بالقلادة الكاملة الآن ؟

وحين حضر الموت أباه ، كان ( جيانغ - سه )  
فى سن المراهقة .. وقال له أبوه وهو يعالج سكرات  
الموت :

« أنت شريّر قنرياً ( جيانغ - سه ) .. ولقد ورثت  
كل أرواح الشياطين من أسلافنا .. وإننى لأرتجف  
هلعاً من مصير سكان المدينة فى عهدك .. »

ابتسم ( جيانغ - سه ) فى تواضع ، فهو لم يعتبر  
نفسه شريراً قط إلى هذا الحد الذى يدغدغ غروره ..  
وحتى هذه اللحظة لم يكن قد فعل أشياء أكثر من  
فقع عيون القطط ، وغرس ديوس فى أذن معلمه ..  
مد الأب يده الراجفة فى صدره ولوّح بالقلادة  
قائلاً :

« أرجوك أن تدفن هذه مع جثتى .. لا تحاول

أخذها .. دعتها تمت معي .. هذه وصية أبيك الوحيدة  
الذي يقضى الآن نحبه فاحترمها .. »  
ثم مات ..

هكذا - بالطبع - كان أول ما فعله ( جيانغ - سه )  
هو أن مد يده في صدر أبيه الذي لم يبرد بعد ، وأخذ  
القلادة ووضعها حول عنقه ، وقرر أن يستفيد منها  
في أقرب فرصة .. ولكن كيف ؟

اليوم هو في منتصف العمر ، وما زالت القلادة  
الكريهة لغزا لا يمكن حله ، وهو قد رزق بابن فاسد  
مثله .. وإن كان فساد من النوع الذي هو إلى عبث  
المراهقين أقرب .. ابن من النوع المستهتر الذي لن  
يعرف أبدا كيف يحتفظ بحكمه وكيف يخيف الناس ..  
لهذا أدرك ( جيانغ - سه ) أن الوقت قد حان للظفر  
بالقلادة .. النصف الآخر منها ..

لكن كيف يجد الآن ما قُبل في العثور عليه طيلة  
حياته ؟

هناك العرافون والمجموعون ، لكنهم يبرهنون كما هي  
العادة دائما على أنهم نصابون ، لا يجيدون سوى  
الكلام العائم على غرار : إننا نرى تنيفا ضخما في  
السماء يلتهم النجوم ، ومنه يولد تنين أصغر قوى ..  
والواحد منهم عاجز تماما عن معرفة المكان الذي  
توجد فيه قطعة ذهب ضاعت منه ..

هناك الجنود ، وهم أكفأ وأكثر شراسة ، لكنهم  
- كما قال قائده - عاجزون تماما عن انتزاع السر  
من المدينة بكاملها ، لأن تعذيب خمسة آلاف شخص  
مهمة مرهقة ..

إن كيف وأين يجد القلادة ؟

سيقوم الآن بقطع بعض الرءوس ، علّه بهذا  
النشاط اللطيف المحبب له يظفر ببعض الاسترخاء  
الفكري ، الذي يجعل أفكاره أصفى ..

★ ★ ★

في اليوم الثالث مات ( هيلو - شي - فاتج ) المعلم  
العظيم ..



كان مرهقاً وقد استبدت الشيوخة بكل خلية من جسده ، بالإضافة إلى أنه كان محمومًا .. ولكنه نهض من على الحشية التي يرقد عليها ، وطلب من ( عبير ) / ( فو - لى ) أن تسنده إلى أن يصل إلى السنديانة الشامخة أمام الدار ، وساعدته حتى أمسك بدورق من الماء راح يسكبه على جذورها ..

ياله من مجهود أحرق لا يستحق مغادرة فراش الموت ، لكن الرجل كان متحمسًا كأنما ستموت للشجرة الباسقة لو لم يفعل هذا الهراء الذى يفعله الآن ، وقال لها بوهن بالغ :

- « هى أختى هذه الشجرة .. وقد أوصيتك بأن تلقى رمادى ليختلط بجذورها .. »

- « اطمئن .. أيها المعظم .. مت .. أقصد نم قرير العين .. »

- « أوصيك كذلك ألا تعلمى أحدًا أنلوب ( تشوب - سيوى ) إلا من تتوسمين فيه الخير ، وهو قرار



وساعدته حتى أمسك بدورق من الماء راح يسكبه على جذورها ..

لا تقدرين على اتخاذه إلا حين تشيب آخر شعرة فى  
رأسك ، ويمر عليك أربعين صيف ..

- « اطمئن .. اطمئن .. فقط اصمت قليلاً .. »

- « يمكنك أن تكسبى عيشك من تعليم أساليب  
القتال .. فقط الأوليات .. لكن ليس كل شيء .. »

- « اطمئن .. اطمئن .. لم أر محتضراً يثرثر إلى  
هذا الحد .. »

وساعدته حتى عاد إلى الحشية فرقد عليها ، وراح  
يسعل ويصق ويمارس كل تلك الأشياء التى  
يمارسونها المحتضرون بحماسة .. وراح يشير إلى  
عنقها محاولاً قول شيء ما ، فقالت له :

- « نعم .. نعم .. أعرف القلادة .. اطمئن .. إنها

معى »

ابتسم فى إرهاق ثم أغمض عينيه ، وفعل آخر  
شيء يفعله الإنسان فى هذا العالم ..

وهكذا رحل المعلم العظيم ، ووجدت نفسها وحيدة  
فى المدينة المسحورة ..

\* \* \*

## ٦ - مدرسة الشعبان ..

فى القرن السادس قبل الميلاد جاء إلى الصين راهب هندى يدعى ( بوديداما ) ، حاملاً معه أسلوب الديانة البوذية على طريقة ( زن ) ، ومعه أسلوب قتالى للدفاع عن النفس يتكون من ١٨ تمريناً ، وفى الواقع انتشر الأسلوب القتالى فى آسيا بسرعة تفوق انتشار الديانة البوذية نفسها ، وسرعان ما بلغ اليابان ، وقد تشعبت شجرة تلك الفنون القتالية الآسيوية لتتخذ أكثر من اسم ، منها ما نعرفه وما لا نعرفه وما نسينا أننا نعرفه .. الكاراتى ( اليد الخالية ) ، والكونج - فو ( الملاكمة الصينية ) ، والجيجوتسو ، والجيدو ، والتايكوندو ، والسومو ، والكندو والإيكيدو ، والتاى شى شوان . وكما هو معروف فإن الكاراتى و( الكونج - فو ) هما النوعان الأكثر شعبية بين هذه الفنون .

نشأ الكاراتى منذ أكثر من عشرة قرون ، فى البداية كتمرين دينى يمارسه الرهبان ، ثم كوسيلة دفاع يستخدمها الفلاحون العزل ضد قطاع الطرق .

الجيجوتسو فن أقرب إلى الرقى وعدم الإيذاء لكنه يميل إلى الالتحام الجسدى ، وتوظيف قوة من يهاجمك فى مصلحتك أنت ، مع توجيه الضربات إلى الأماكن الحيوية من جسمه ، ومنه تطور الجيدو والإيكيدو عام ١٨٨٢ على أيدي الأساتذة اليابانيين .

والإيكيدو والتاى شى شوان فنان قائمان على تحاشى هجمات الخصم عن طريق حركات دورانية ، مع محاولة لى المفاصل أو إغلاقها ، وهما على العموم أرقى أنواع الفنون القتالية ، لذا - كالعادة - يحظيان بشعبية أقل . التايكوندو فن قتالى آخر نشأ فى كوريا يستعمل الركل أكثر من غيره ، وله أسلوبه الخاص فى توجيه الركلات فى أثناء الطيران فى الهواء . وقد غزا العالم ابتداء من عام ١٩٦٠ . الكندو تطوير حديث للمبارزة اليابانية القديمة بالسيف . أما السومو فهو

رياضة يابانية جداً تقوم على التحام الأجساد العملاقة  
الشبيهة بالجبال ، لرجلين تحولاً إلى كتلة من الشحم  
والعضلات ، وهو يفتقر بالتأكيد إلى الجمال والرشاقة  
الذين تمنحهما باقى الفنون الآسيوية ، لكن له طابعاً  
يابانياً حميماً يعرفه العالم ويألفه .

كل هذه الرياضات تركز على ثلاثة عناصر : القوة -  
السرعة - التقنية .. والحقيقة أن الرياضات القتالية  
والبوذية وفنون اليوجا مع المزاج الآسيوى الميال  
للتأمل ؛ كلها أمور متداخلة معتزجة بشدة ، بحيث  
يصعب فصلها ، ولهذا لا يجيد هذه الرياضات إجادة  
مطقة إلا من استطاع أن يبرمج جزءاً من عقله  
ليكون آسيوياً ..

( عبير ) الآن - بلا فخر - تملك مدرسة لتعليم أسلوب  
قتال آسيوى خاص هو أسلوب الثعبان .. وفى هذه  
المدرسة هى المعلم الوحيد والناسظر والفراش .. سبب  
نجاح هذه المدرسة هو أن الجميع يعرف أنها كانت  
رعاية المعلم العظيم ( هياو - شى - فاتج ) ،

وبالتأكيد تعرف الكثير عن أسلوب ( تشوب - سيوى )  
الغامض الذى أبى العجوز تعليمه لأحد حتى ابن  
الحاكم .. وللأسف ما كان أحد يقدر على إرغام  
( هياو - شى - فاتج ) على شىء ..

لكن ( عبير ) كانت أذكى من أن تمنح أسرارها  
المقدسة إلى هؤلاء .. لقد اختارت لنفسها منهجاً  
لا بأس به تقوم بتدريسه ، ويمكن أن يكون مبهراً  
ولكنه ليس كل شىء ..

وبعد ثلاثة أيام من حرق جثة العجوز - كعادة  
المدينة - بدأ الطلاب يفدون إليها ، وقد حمل كل منهم  
شيئاً يؤكل على سبيل الأجر : ديك .. تفاحة .. كعك ..  
بعض الأرز .. يرتقال .. باختصار : كان أجرها  
هو أن تظل حية ولا يقتلها الجوع ..

أمسكت بفدح من الشاى الساخن ، وقفت تتأملهم  
إن وقفوا فى فناء الدار ، وكانت قد ارتلت نفس الأسعمال  
التي كان يرتديها المعلم ، حتى بنت كالشحانين ، لكنها  
كانت تعرف الآن أن القوة الحقيقية تأتى من روح

قوية لا تبالي بهراء الترف والثراء .. وكان تلاميذها  
مجموعة من الصبية والفتية المراهقين المثيبيين  
المذعورين ..

قالت لهم :

- « الكبر .. يجب كسر الكبر .. أما الترف فسم  
ينبغي الخلاص منه ، حتى تجد الحكمة أرضاً تنبت  
فيها .. إن التقشف تزيقكم ، وعليكم أن ترشفوه  
ببطء وتلذذ .. »

ورشفت جرعة كبيرة من الشاي الساخن ، ثم  
أمرت أربعة منهم بأن يهاجموها ..

انقض عليها الفتية ، لكنها تتملص منهم إلى اليمين  
دون أن تبدل من وضع ساقبها أو تهز جذعها ..  
هجموا من جديد ، لكنها تنثنى جذعها للجهة الأخرى  
وتنتهز الفرصة لترشف في تلذذ رشقة من الشاي ..  
ينقضون بعنف حتى يحدث سلاحهم صغيراً وهو  
يشق الهواء ، لكنها من جديد تتحرك برشاقة إلى

الخلف .. أمام .. يمين .. خلف .. تنب .. تتحنى ..  
خلف .. أمام .. أسفل .. يمين .. يسار ..

ثم ترشف رشقة أخرى من الشاي ..

وأخيراً تقول لهم في ثبات :

- « أنتم غاضبون .. لهذا صرتم تفكرون بحماقة ،  
ولا تلاحظون جيداً .. »

هنا صاح أحد الصبية اللاهثين :

- « فهمت ! إن (فو - لى) ذات الغمازتين (تبلف)  
يا رفاق .. هذا القدح فارغ !! »  
- « حقاً ؟؟ »

قالتها وطوحت القدح في الهواء ، ليتناثر منه  
السائل الأخضر الساخن في كل صوب ..

هذه المرة كان القدح مليئاً فعلاً ، ولم تنسكب منه  
قطرة واحدة !

★ ★ ★

ومرت الأيام ، كما فى السينما حين تتطاير أوراق  
التقويم فى وجوها .. الفارق الوحيد فى ( فيكتاريا ) هو  
أن ( عبير ) تشعر بمرور الزمن حقًا ، لكنها  
لا تشعر بملله ولا رتابته .. هى فقط تعرف أنه  
مر ..

تقدم التلاميذ لكنهم لم يصلوا لمستواها بالطبع ،  
والسبب هو أنها تدارى سر أسرار العجوز ( هياو - شى -  
فاتج ) فى قلبها .. لن تعلمهم أبدًا كيف يتنبئون  
بالضربة القادمة قبل أن يخمنها الخصم . ولا كيف  
يصرخون الصرخة إيّاها التى يمكن أن تشل أسدًا  
وتجعله يولى الأدبار ، ولا نظرة العينين الثاقبة التى  
تركب من يراها ..

ولم تدرك أن اليوم آت لا محالة حين تضطر  
لاستعمال هذه الأساليب ..

★ ★ ★

نحن الآن فى قصر ( جيانغ - سه ) الذى اشتهر  
بالتنين لأسباب لا أعرفها حقًا . فى الغالب لأن كل

شئ الصين هو تنين بشكل أو بآخر .. عيد التنين ..  
باب التنين .. حتى المرض يعالجونه بأسنان التنين  
المطحونة .. يبدو لى أن التنانين كانت تملأ أرض  
الصين وسماءها فى وقت بعينه من التاريخ ..

هو ذا ( جيانغ - سه ) الرهيب وسط رجاله ونسائه  
يلتهم قطعة كبيرة من اللحم ، ويتأمل غلامًا ممزق  
الثياب متورم العينين فى الثامنة من عمره ..

يقول له ثور الجر وهو مجرد سيفه :

- « هل أفتح بطنه الآن أيها التنين ؟ »

يداعب التنين ذقنه بيده التى استحالت أظفارها  
مخالب ، ويتأمل الصبى مفكرًا :

- « لا أظن .. إنه صغير السن جدًا ، ولسوف  
يكون مشهّدًا قاسيًا .. »

ثم أشار إلى النمر المربوط بالسلسلة وقال :

- « دع النمر يلتهمه أمامى .. سيكون هذا أكثر  
تسلية .. »

هنا صاح الصبى وقدماء لم تعودا تحمله :

- « مولاي التنين الأعظم ! أنا لم أفعل ما أستحق عليه الموت .. »

- « نحن من يحدد هذا .. هل تنكر إنك أنك احتفظت بتلك التفاحة ولم تعدها لقصرى ؟ »

- « كنت جائعاً أيها التنين الأعظم ، ومررت جوار أسوار القصر .. هوت تلك التفاحة على رأسي ، ولم أدرك أنها من شجرتكم .. همت بالتهامها ، لكن الحراس انقضوا عليّ وأوسعوني ضرباً .. »

بدأ الرضا على التنين ، وتحسس التفاحة بحنان :

- « هذا هو سر نجاحي يا غلام .. أنا لا أترك شيئاً يضيع من يدي .. ولربما كانت نهايتك قاسية .. لكنها ستعلم الأوغاد الآخرين أن الاحتفاظ بتفاحة تخص التنين هو عمل خطير ، لا يعوضه مذاق التفاح في الكون كله .. »

ثم أشار إلى حارسه آمراً :

- « ( شاتج ) ! فكوا سلسلة النمر ! »

اتجه ( شاتج ) إلى السلسلة ، وأخرج مفتاحاً من جيبه وراح يعالج القفل ، فيما بدأ النمر فعلاً يلتهم الغلام بعينه قبل أن يلمسه .. صاح الغلام في هلع :

- « سيدي التنين ! أنت لن تفعل هذا .. »

- « أعطني سبباً واحداً يمنعني .. لكن لا تتحدث عن الرحمة ، فهي موضوع ممل يعكر صفوى »

- « أنا مصمم على أن أفقد حياتي .. »

- « كلام جميل .. ولكن كيف ؟ »

- « لو أبعدت هذا النمر ، فسوف أخبرك بسر يهكم أمره ! »

نظر التنين إلى رجاله وانفجر ضاحكاً ، ومعه انفجر الرجال ضحكاً على سبيل التملق .. أخيراً قال :

- « هوه هوه ! الغلام يساوم ! هوه هوه ! يا له من تاجر يارع .. الحق أن هذا البائس قد بدأ يروق لى .. »

إنه لا يعرف أن بوسعى أخذ ما أريد حين أريد دون  
مساومة .. ولكن .. أعد السلسلة إلى عتق النمر  
يا ( شاتج ) ولنر ما هناك .. »

نظر الغلام حوله فى حذر ، وقال مرتجفاً :

- « إذن تعطينى الأمان ؟ »

- « هو لك لو كان سرّاً مهماً .. »

- « هو مهم إلى درجة أننى أرغب فى إخلاء  
القاعة .. »

- « لا وقت لذلك .. تكلم .. »

قرب الصبى وجهه من وجه التنين ، وقال همساً :

- « القلادة .. نصفها الآخر .. أنا أعرف مكانه ! »

★ ★ ★

## ٧ - الغمازتان ضد التنين ..

( وليس هذا اسم فيلم من أفلام هونج كونج )

- « ماذا تنتظرون أيها الأوغاد ؟ أدخلوا القاعة  
حالا !! »

هذه طبعا كانت من التنين ، الذى جعلت صيحته  
الجدران والقلوب والسيقان ترتجف ، وإن هى إلا بضغ  
ثوان حتى خلت القاعة من كل كائن يتنفس ، وحتى  
النمر تظاهر بأنه لا يسمع ما يقال ...

خلا المكان من البشر ، فاتحنى يمسك بالغلام من  
تلابييه ، ويعيد سؤاله :

- « ماذا قلت ؟ »

الحقيقة أن الغلام لم يحسب أن الأمر بهذه الخطورة ،



وحين رأى ملامح التنين الشيطانية المتقلصة وعينييه شبه الجاحظتين ، كاد قلبه يكف عن الخفقان .. والحقيقة - نعترف - لم ير أن النمر كان بهذا السوء ..

قال مرتجفا وقد بدت دموعه تسيل :

- « نصف القلادة الذى تبحث عنه .. أنا أعرف أين نصف القل .. »

- « أعرف أيها الحمار ! لا تكرر نفسك مرتين ! »

- « إنها لدى العجوز ( هياو - شى - فاتج ) .. أعنى عند ربييته ( فو - لى ) ذات الغمازتين الآن ! »

- « وكيف عرفت هذا كله ؟ »

- « كنا نلعب أمام داره ، ورأيناه جالسا مع الفتاة يشرب الشاي فى فناء داره ويحدثها .. بعدها انتزع هذا الشيء من حول عنقه ، وأمرها بأن ترتديه حول عنقها هي .. »

- « وكيف عرفت أنها القلادة ؟ »

- « إن الأساطير معروفة فى المدينة ، والقلادة التى تم كسرها إلى نصفين يمكن تمييزها من بعيد .. »

أطلق التنين سراح الغلام وراح يفكر ...

إن الغلام لا يكذب .. لا أحد يكذب بهذا التعقيد ، ولا أحد يكذب وهو خائف إلى درجة أنه بلل سرواله ..

نعم .. هكذا تبدو الأمور منطقية منظمة كما ينبغي أن تكون الحياة .. فقط فى القصص التى يحكيها الأجداد تكون الحياة منطقية مفسرة بهذا الحد ، ويكون لكل شيء مبرر ما .. تأمل الجوانب الشعرية فى الموضوع .. القلادة لها نصفان : النصف الأول مع أشراشرار المدينة ، والنصف الآخر مع أخير أختيارها .. العدوان القديمان العتيدان .. قطبا إبرة البوصلة التى اخترعها الصينيون .. النور والظلام .. الأبيض والأسود .. وبينهما تتوزع أشنع قوة عرفها الكون بحيث لا يظفر بها أحدهما ..

هكذا تغدو الأمور واضحة بلا التباس .. على أن



ونظر إلى الغلام وابتم في وحشية ..

قال الغلام متوجساً : « طبعاً ستقتلني الآن .. »

الفارق الوحيد عن القصص هنا هو أن الشر سينتصر ..  
بالتأكيد سينتصر .. لماذا ؟ لأن العجوز ( هياو - شى -  
فاتج ) قد مات .. من حسن حظها أنه مات .. وربييته  
هذه لن تصمد طويلاً أمام ( جياتج - سه ) الرهيب ..  
التنين .. منذ متى تصمد الغمازتان أمام التنين ؟

ونظر إلى الغلام وابتم في وحشية ..

قال الغلام متوجساً :

- « طبعاً ستقتلني الآن .. وتقول إنك كذبت حين  
وعدتني بالأمان ، وإته ما كان على أن أصدق شريكاً  
مثلك ؟ كلهم يفعلون هذا »

- « كلا يا غلام .. لحسن حظك أن الخبر الذى  
جئت به أجمل ما سمعت فى حياتي .. لن أفك بك ..  
ولكنى مضطر لإقناعك فى السجن حتى لا يتسرب  
خبر أنني أعرف .. »

وربّت على خد الغلام فى حنان شنيع ، وقال :

- « هلم يا غلام .. لا تحزن .. سأطلق سراحك

سريعاً جداً .. وساعتها سترى أشنع تجربة رآها  
الناس منذ عهد أسلافنا العظام .. »

★ ★ ★

بالتطبع لم تعرف ( عبير ) هذا إلا متأخراً جداً ..  
كانت تمشى فى السوق كعادتها ، وبالتطبع كان  
استقبالها يختلف كثيراً عن المرة الأولى .. الباعة  
ييشون فى وجهها ويلقون لها ثمرات الرسان  
والبرتقال ، مع الصفة التى أحبت أن تفتن بها :  
- « تحية يا ذات الغصارتين .. يا بنّة الشمس  
والقمر .. »

كان الكلب الأجرب ( شنج - لى - موه - فونج )  
يمرح كعادته بقربها ، ثم توارى بين أوتاد الخيام  
المنصوبة ، فلم تقلق عليه .. هذه هى مزية أن  
يكون الكلب أجرب معدوم الحيلة .. لا أحد يرغب فى  
سرقة ..

دنت من بين طبقات قماش الخيمة وأمعنت النظر  
إلى المشهد التالى :

كان هناك شاب غير مهندم الثياب ، له قامة ولون  
بشرة ولون شعر وملامح رجل غير آسيوى ، يسرق ..  
نعم يسرق بعض النقائى من على منضدة بيع ، بينما  
البائع متكئ على الأرض منهمكاً فى تدخين الأفيون ..  
والأفيون - بالمناسبة - هو الطريقة التى اختارها  
المستعمر البريطانى لاحتلال الصين .. إن شعباً غائباً عن  
الوعى بفعل الأفيون لا يقاوم مستعمره بحماسة ، هذا  
إن قومه أصلاً .. هل تذكرون موضوع حرب الأفيون  
الذى كان مقرراً علينا ، والذى استطاعت عصا الأستاذ  
( جودة ) مدرس التاريخ أن تحفره فى أذهاننا للأبد ؟  
تسببته برغم العصا ؟! رباه ! كنت أود أن أذكركم  
به ، لكن هذا استطراد طالما أثار الحنق على كاتب  
هذه السطور .. فلنعد للسباق إذن ..

كنت أقول : إن الفتى كان يسرق النقائى ، ووقفت  
( عبير ) ترمق هذا المشهد المذهل فى فضول ..

سيوى ) إلا من تتوسمين فيه الخير ، وهو قرار  
لا تقدرين على اتخاذه إلا حين تشيب آخر شعرة فى  
رأسك ، ويمر عليك أربعون صيف «

\* \* \*

« أنت أيها اللص ! »

دوت الصيحة فالتفتت إلى الوراء لتجد البائع قد  
أفاق أخيراً ، ورفع الساطور يريد أن يفلق به رأس  
الفتى ..

وسمع القوم فى السوق النداء ، فهرعوا بالغوغائية  
المعداة يلحقون بالمشهد ، وتعالى السباب .. أما الفتى  
فوقف متجمداً كفار وقع فى مصيدة .. منات الوجوه  
الصفراء تحيط به ، حتى غدا من العبث أن تقتنعهم أنه  
سرق لإطعام كلب جائع .. هنا بدأ يفعل أشياء غريبة ..  
رأته (عبير) يكور قبضتيه .. وقد فرد أحد الذراعين  
للأمام ، بينما ضم الذراع الآخر كأنما ليحمى وجهه ..

وهنا أدركت أنها لن تبلغ القوم عن الفتى .. لا لن  
تفعل .. السبب هو أن هذا فتاهما بالتحديد .. ملامح  
زوجها ( شريف ) التى لا تخطئها أبداً .. ومعنى هذا  
أنه سيكون عليها أن تحب هذا الفتى وترتبط بمصيره  
طيلة القصة .. الروتين دائماً .. الروتين .. لقد  
تعلمت هذا مراراً فى ( فانتازيا ) ، ومن الحق إذن  
أن تفسد كل شيء باستدعاء القوم ..

هنا ابتعد الفتى عن المنضدة وقام بعمل غريب  
بعض الشيء .. لقد ابتعد بضع خطوات ، ثم انحنى  
ووضع النقائق على الأرض أمام شيء ما .. كلبها  
الأجرب على وجه التحديد ..

ما معنى هذا ؟ هل معناه أن عليها تعليمه أسلوب  
( تشوب سيوى ) ؟ ليس بهذه البساطة ، وليس من  
واجبها تعليم هذا الأسلوب لكل من يطعم كلبها ..  
ثم إن كلمات المعلم الأخيرة كانت واضحة لا لبس  
فيها :

« أوصيك كذلك ألا تعلمى أحداً أسلوب ( تشوب

وراحت ساقاه تهتران جيئة وذهابا ، وهو يتواثب  
للأمام والخلف .. دنا منه أحد الصينيين ليلقته درسًا ،  
لكن قبضة الفتى طارت كالبرق لتلطم فكه .. ترنج  
الرجل ثم هوى كالدن الثقيل ..

إنه يتحدثنا إذن ذلك اللص الأوروبي !

وتقدم رجل ضخم الجثة كى يؤدب الفتى ، وعلى  
وجهه تعبير أنه لا يحب هذا المزاح .. طارت قبضته  
نحو وجه الفتى ، لكن هذا انحى فى رشافة ليتفادى  
القبضة ، ثم طارت قبضته لتدفن نفسها فى لحم بطنه  
الرخو .. أوععع ! قالها وتكور على نفسه ، وسال  
دم كثير من فمه ..

- « هذه طريقة قتل الشياطين ! هذا الفتى شيطان  
متكرر ! »

ويتقدم القوم واحدًا بعد آخر ، لكن الفتى يتواثب  
كالماتجوس حول الكوبرا ، ومن أن لآخر يسدد ضربة  
قاتلة إلى بطن أو صدر أو فك خصمه ، فيسقط هذا  
أرضًا .. الخلاصة أنه جندل خمسة منهم ..

حمل القوم عصيهم وقرروا أن يهجموا فى الوقت  
ذاته .. إن الفتك بهذا الفتى سيكون متعة دونها  
مصارعة الديكة فى حانة ( فان - كوان ) العجوز ..  
وبدا اللحظة أن الأمر منته .. هنا ..

- « هبونى حياته يا أهل المدينة المسحورة ! »

كذا صاحت ( عبير ) وهى ترفع كفها بطريقة  
أمره .. صاح أحدهم فى احتجاج :

- « هذا لن يكون يا ( فو - لى ) ذات الغمازتين ..  
إن مكاته هو قصر الحاكم ، حيث يلقي جزاءه .. »

من نطاقها أخرجت بعض ثمار الفاكهة ، وقذفتها  
على المنضدة أمام البائع وقالت :

- « هل أنت راض يا ( ماو - شون - قه ) ؟ »

نظر إلى ما وضعته ، وقال فى تردد :

- « راض يا ( فو - لى ) يا ذات الغمازتين ..

ولكن .. »

طُوِّحت بصفيرتها الجميلة إلى كنفها الآخر، وصاحت :

- « دعه وشأنه يا ( ماو - شون - قه ) .. قد نلت ثمن ما سرق منك ، ولو كان لمعلمي العظيم خاطر عندكم فأنا أسألكم أن تطيعوني .. »

بدا على القوم أن للمعلم العظيم خاطرا كبيرا ، وبدءوا يتفرقون في حيرة ..

أشارت إلى الشاب المذهول وقالت بلهجة آمرة :

- « فلتتبعني .. »

★ ★ ★

## ٨ - جاءوا ليأخذوها ..

قَدِمَتْ لَهُ بعض العصيدة مع السمك المملح ، وكان هو جالسا على الأرض ساهما ينظر إليها في فضول .. كان يتحدث الصينية ويفهمها لهذا لم تجد صعوبة في فهمه وإفهامه ..

سألته وهي تربت على ظهر الكلب :

- « ما تلك الطريقة القتالية التي اتبعتها في السوق ؟ »

ملأ فمه بالعصيدة الكريهة ، وقال :

- « اسمها ( الملاكمة ) .. إنني أتبع طريقة الماركيز ( كوينزيرى ) العظيم .. استخدام القبضتين في حماية الوجه والجذع ، ثم استغلال الثغرات لتوجيه لكمات قاضية إلى الخصم (\*) .. »

(\*) يوجد هنا خلط تاريخي كالمعتاد في ( فانتازيا ) .. إن ( الماركيز كوينزيرى ) وضع قواعد اللعبة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ومن الواضح أن قصتنا هذه تحدث قبل هذا بقرن أو قرنين ..

- « لا ركلات ؟ »

- « لا ركلات .. إن رياضة ( ملاكمة الركلات )  
( كيك بوكسينج ) لم ت اخترع بعد .. »

ساد الصمت قليلاً ثم سأله :

- « من أين أنت ؟ »

- « ( جاك دبيري ) .. إنجليزي .. »

- « لا تبدو لى من سلالة ملوك إنجلترا ، وأراهن  
أنك لا تملك قصرًا ، فهلا حكيت لى قصتك ؟ »

حك شعره الأشقر المشعث ، وقال فى ملل :

- « لا شيء .. بحار على سفينة اعتادت التعامل مع  
التجار الصينيين .. قراصنة صينيون .. الموت لجميع  
رجال الطاقم .. الهرب .. الأرض تلوح بعد أسبوع  
فى المحيط ، ثم الوصول إلى المدينة المسحورة .. »

- « قصتك تحدث كل يوم »

- « بالفعل هى كذلك .. لهذا أخجل من سردها  
لأنها مملة »

تأملت طبق العصيدة الذى فرغ منذ ثوان فى يده ،  
وقالت :

- « سأقدم لك عرضًا .. ستقيم هنا فى مدرسة  
الثعبان ، وتنال طعامًا ومكانًا للنوم .. فى المقابل  
أريد أن أتعلم منك هذا الأسلوب القتالى الغريب ..  
إنه يختلف كل الاختلاف عن أسلوبنا هنا .. وأنا  
معلمة قتال ، ويجب أن أعرف أكثر »

ابتسم فى ارتياح ، وتأمل المكان حوله ، ثم قال :

- « ماذا لو طلبت فرصة للتفكير ؟ »

- « بل يجب أن تطلب فرصة للتفكير .. نحن هنا  
فى آسيا القديمة حيث الزمن لا معنى له .. يستطيع  
المرء أن يتأمل ويقلب الأمور بضعة قرون لو أن  
العمر سمح له بذلك .. »

ولكنه لم يستغرق كل هذه الفترة ..

لقد عاد إليها بعد ساعتين راح يجول فيهما فى  
الفناء الخلفى للدار ، وقال لها :

- « موافق يا (فو - لى) .. ليس لدى اختيار آخر .. »  
تظاهرت بالبرود ، وإن اعترفت لنفسها بأنها  
راضية كل الرضا عن هذا القبول ..

\* \* \*

لا تدرى متى ولا كيف استيقظت ، وكان القمر يتسلل  
من النافذة الوحيدة للدار ، ونظرت إلى الكلب النائم  
بجوارها .. كان نائماً بعمق ، لكن هذا لا يهم .. إنه  
أحمق .. ربما أغبى كلب رآته فى حياتها ، ومن  
الوارد أن يثور بركان أو يتحرك زلزال دون أن  
يشعر ؛ لأنه لا يملك من غرائز الحيوان إلا الجوع ..  
نظرت خارج النافذة فوجدت مجموعة من الأشباح ،  
وسمعت مجموعة من الصيحات القصيرة .. إن الضيف  
الجديد ينام هناك فى القناء الليلة ، ولا يمكن أن تكون  
هذه الأصوات بسبب كوابيس يراها ..

لم تنتظر أكثر وتسلمت النافذة لترى ما هنالك ..

هناك ترى تلك المجموعة من الأشباح ، وتترك أن

الفتى الوافد الجديد يقف فى وسطها ملوحاً بقبضتيه ..  
يبدو أن نحو عشرة من الرجال ضخام الأجساد  
يهاجمونه ، وهو يحاول بقبضته إنهاء القتال على  
طريقة .. طريقة (كلربورى) أو (كادبورى) هذا ..  
كان يودى عملاً لا بأس به على الإطلاق .. وقد أسقط  
منهم ثلاثة أو أربعة .. لكن الكثرة تغلب الشجاعة  
على كل حال ، خاصة إذا كانت الكثرة تحمل السيوف  
والخنجر ..

شعرت بغضبة عاتية بسبب تكديس دارها بهذا الشكل  
المهين .. لا بد أن هؤلاء القوم لا يقتسلون بماء  
(اليتج - تسى) ، ولا يشعلون الشموع للماتشو .. وثبت  
من النافذة ، وأدركت أنها ترتجف غضباً .. أخذت  
شهيقاً عميقاً لأنها سمعت صوت أستاذها العظيم :

« الخطأ الثالث هو أنك غضبى .. وحينما تكونين  
غضبى يستطيع طفل أن يخدعك .. »

\* \* \*



إنها تعرف كيف تتحكم فى مشاعر الخوف والغضب ،  
وكيف تأخذ شهيقاً عميقاً تتخيل معه - بل تدرك -  
أنها احتوت النرفاتا الحيوية فى الكون داخل رنتيها ،  
وتشعر بها تسرى مع الدم إلى كل خلية منها .. ومع  
النرفاتا تدنو ببطء من حقائق الأشياء ، وتستطيع أن  
تفهم كيف تثب الذبابة من فوق المنضدة حين تهوى  
بقبضتك عليها ...

إنها تعرف أن خصومها - مهما بلغ عددهم - ضعفاء  
جداً واهنون جداً ، وتوشك على الشعور بالشفقة من  
أجلهم ؛ لأنهم حمقى لا يدركون مغبة تحدى من يجيد  
أسلوب ( تشوب سيوى ) ..

\* \* \*

وقفت فى الفناء فى ضوء القمر ، وصاحت بأعلى  
صوتها :

- « أنتم كنستم فناء دارى بأقدامكم ، وإننى آمركم  
بالرحيل حالاً .. »

تصلب الجميع .. ثم تخلوا عن حصارهم للفتى ، وبدأ  
سنة منهم يتقدمون منها وهم يلوحون بأسلحتهم ،  
التي تلتصق فى ضوء القمر الفضى البارد .. وقال قائل  
منهم لم تتبين وجهه فى الظلام :

- « يا ( فو - لى ) ذات الغمازتين .. ثمة شىء  
معك يريدك اللتين .. شىء حول عنقك بالذات .. ونحن  
راغبون بحق فى حقن الدماء .. فقط أنت تفهمين  
ما نريد قوله .. »

نعم تفهم .. المصيبة أنها تفهم .. ويعلم الله أنها  
لا تدرى من أين عرفوا .. هؤلاء جاءوا إذن لذبحها  
وهى نائمة وسرقة قلاذتها ، لولا أن تعثروا فى  
الإنجليزى النائم ، ولم يكن سهل الهضم على ما يبدو ..

اتخذت أحد الأوضاع الأستاذية البارعة التى تعلمتها  
من المعلم الذى لحق بأجداده : وضع اللقطة ..  
لا أدرى ما هو بالضبط لكنه كذلك .. وقالت وهى تفتح  
ذراعيها بأسلوب الإنذار النهائى :

- « لقد أردتم القتال .. فأتأله ! »

لا تدري لما قالتها ، لكن هذه العبارة تتردد فى كل فيلم ( كونج فو ) تقرينا .. حتى صار لها مذاق ( صباح الخير ) عند الاستيقاظ ، و ( آلو ) عند الكلام فى الهاتف ..

وكأنما كانت هذه هى الإشارة ، انقضى الرجال عليها بأسلحتهم ، وهم يتصايحون ..

لكن ( عبير ) كانت تتواثب وتوجه اللكمات كالقط البرى .. تركل .. تلحنى .. تقف على ذراعيها الممدودتين ، وتدور كالعجلة .. ثم تمارس الشيء الذى لا تصدقه مالم تره .. تثب .. تطير على ارتفاع ستة أمتار ، ثم تهبط على ساقها لتوجه لكمة إلى عنق أحدهم إن أسلوب ( تشوب سيوى ) يعمل جيذاً ..

\* \* \*

« نعم هزمتهم فى القتال ، لكنى هُزمت أنا نفسى حين عجزت عن كبح جماح غضبى ، وأرديت خمسة منهم قتلى ! إن الهزيمة أمام الغضب أشد خزيًا من ألف هزيمة بيد الأعداء ، وقد كفت عن تناول

الشئ لمدة عامين تكفيراً عن أرواح هؤلاء الأبرياء ! »

\* \* \*

لهذا توقفت وقد أيقنت أنهم لن يستطيعوا مزيداً من العنف ...

راحوا يللمون جراحهم وجراحهم ويرحلون .. جثت على ركبتيها لترى الفتى الذى كانت لثته تنزف ، والكدمات تملأ وجهه وما حول عينيه ، فساعدته على النهوض .. قال وهو يبحث عن ساقين يقف عليهما :

- « آى ! إن تقاليد الضيافة هنا غريبة نوعاً .. لم أتوقع .. آى .. كل هذا الترحيب .. »

- « إنهم ودودون هنا .. هل نسيت السوق ؟ »

- « ولماذا يفعلون .. آى !! هذا ؟ »

- « لنفس السبب القديم قدم التاريخ . لئى شئ لا أريد أن أعطيه لهم وهم يريدونه . »

- « آى .. وما هو ؟ »

إذن أن تنتزع القلادة وتخفيها في مكان آخر .. صحيح  
أنها في أمان لا بأس به حول عنقها ، وصحيح أنها  
ستدافع عنها حتى الموت ، لكنها لا تضمن حياتها ..  
إن رمحا بطير في الظلام ، أو هجمة غادرة مثل  
التي حدثت أمس قد تقضى عليها ، وعندها سيجز  
هؤلاء القوم عنقها ، وينزعون القلادة بالطريقة  
السهلة : من أسفل العنق لا من أعلى الرأس !

مدت يدها إلى القلادة وهمت بنزعها ، لكن شيئاً  
غريباً حدث ..

لقد راح المعن يتوهج .. يتوهج .. يسخن .. يسخن ..  
آه ه ه ه ! حزام من نار يحيط بعنقها حتى صار  
من العسير أن تحاول ..

ما معنى هذا ؟ ما الذي ؟

ابتعدت يدها عن القلادة ، هنا شعرت بها تبرد ببطء  
وعادت إلى سيرتها الأولى ..

ابتسمت في غموض ابتسامة لم يرها في ضوء  
القمر ، وقالت بلهجة ذات معنى :

- « هذه أشياء لا تحكى لغريب لم يلقه المرء  
إلا منذ يوم واحد .. »

- « هذا صحيح .. آي .. »

قالها في خجل ، وصمت .. مرت هنيهة ثم قالت :

- « لكنك أنقذت حياتي .. شكراً لك .. »

- « لا أحد يستطيع إنقاذ حياة فتاة تقاتل مثلك ..  
هذا شرف لا أدعيه ، ولعلك أنقذت حياتي للمرة  
الثانية »

\* \* \*

مر يومان ..

وأدركت ( عبير ) أن القصة لم تنته نهاية سعيدة  
بعد ..

سيعود ( جيانغ - سه ) لأنه من طراز الأوغاد  
المثابرين الذين لا يئسسون بسهولة .. من الحكمة

هذه القلادة تأبى التخلي عن عنقها ، والغريب أن  
المعلم العجوز قد نزعها بسهولة تامة من قبل ..  
كأن القلادة تعرف أن مصيرها حول عنق ( عبير )  
للأبد .. ولكن .. يا له من مآزق !

\* \* \*

## ٩- المباراة ..

فى الصباح جاء ( سونج بياو ) ابن التنين ..

كان وحيداً لا يصحبه إلا حارسان ملجبان بالسلاح ،  
وكان الفتى متأنقاً مضمخاً بالعطر ، وقد حرص على  
أن يطوح برأسه لتبدو ضفيراته الطويلتان للعيان ..

كانت واقفة فى فناء الدار ، حين رأتهم قادمين  
من بعيد .. تبادلت نظرة ذات معنى مع الإنجليزي  
وقالت همساً :

- « هلت روائح الأحبة ! »

ثم شرحت له - باختصار - أن ( سونج بياو ) وغد  
رقيق وهو ابن ( جيانغ - سه ) الذى هو وغد غير  
رقيق .. إنها لم تلق الأخير قط ، لكن من الواضح  
أنه الشر يمشى على قدمين ..

كور ( جاك ) يديه واستعد للشجار ، لكنها هدأت  
من روعه بإشارة عابرة ودعته للابتعاد ..

فما إن اختلى بها (سونج بياو ) حتى تهلل وجهه  
وهتف ( أترأه فى شىء من الرقة ؟ )

- « فو - لى ) إلى متى ستبقى بعيدة عنا ؟

أنت قوية ويمكنك أن تكونى منا .. إن المرء ليجد  
عسراً بالغاً فى نسيان هاتين الغازتين اللتين .. »

- « لو اختصرت الكلام لكنت شاكراً .. »

- « حسن .. لنقل إننى أهتم بك حباً منذ موضوع  
السوق إياه .. »

فلما رأى وجهها يبرد وقبضتها تتكور ، هتف فى  
جزع ملوحاً بكفه :

- « .. لكن هذا ليس موضوع زيارتى .. هذا  
ليس موضوع زيارتى .. لقد أرسلنى أبى برسالة  
مختصرة لك .. »

- « القلادة أو الموت .. »

وفى ثبات تعلمته من أستاذها ، وضعت جذعاً  
خشبياً فوق قطعنى قرميد ، ثم رفعت سيف يدها  
وأطلقت صرخة عاتية : «

- « كاييبيبي !! »

وهوت على الجذع لتحطمه إلى نصفين .. فعلتها  
كأنها لا تلاحظ القادمين ، وكأنها تقوم بنشاط يومى  
رتيب .. كان هذا فى الوقت الذى دنا فيه الفتى  
وحارساه منها ، فوقفت ومسحت يدها فى خرقه  
قماش ، واتحت بحركة احترام ساخرة وقالت :

- « يا للشمس والقمر ! ابن التنين العظيم فى  
دارى الحفيرة ! »

لم يبد مستعداً لمجاراتها فى الكلام المسموم ،  
وقال وقد بدا عليه بعض التوتر :

- « ( فو - لى ) .. أنا هنا فى مهمة محددة ..  
وأبغى الكلام على انفراد .. أنت من القوة بحيث  
لا تحتاجين إلى وجود هذا الأوروبي للناعم هنا بجوارك .. »

- « أنت تتكلمين بلسانى حقاً .. ودعيني أؤكد لك أن أبى شريد بما يكفى .. أنا نفسى أرتجف هلغاً كلما رأيت ما يفعله ، وأتساءل : أى نوع من البشر هذا .. صدقيني إن عداوته غير مستحبة ، وأنا أخاف عليك من مغبة شيء كهذا .. »

- « لذا جئت تطالب بالقلادة .. »

- « هذا سيمنحنا حياة أطول وأهناً .. لكنى على كل حال جئت أقدم لك عرض أبى ، وهو يبدو عرضاً لا غبار عليه .. »

وقدم عرضه : سيريح التنين القلادة فى قناتل شريف يقام فجراً عند بوابة التنين الذهبى .. سيكون على ( فو - لى ) أن تواجه خمسة من المحاربين المقتدرين .. الواحد تلو الآخر بطريقته .. فبان ربحت كانت القلادة لها بالكامل ، ولها أن تفعل بها ما تشاء ، أما إن خسرت فعليها أن تسلمهم القلادة ..

قالت ( عبير ) مفكرة :

- « هذا يبدو غريباً .. لماذا لم يلجأ أبوك للحيل القذرة ؟ »

- « لأن أبى يريد الحصول على القلادة سريعاً دون إضاعة وقت ، وقد رأى مما فعلت برجاله أنك صلبة قادرة على المقاومة فترة لا بأس بها .. هذا الحل لن ترفضه لأن محارب ( تشوب سيوى ) لا يرفض التحدى أبداً .. »

- « وهبنى رفضت ؟ »

- « سيلجأ إنن إلى الطرق الصعبة القذرة .. وثقى أنه يارع فيها .. »

واستدار الفتى إلى حارسه داعياً إلى الانصراف ، وقال قبل أن يرحل :

- « سنكون هناك فى الموعد ، وسوف نعرف ردك وقتها ، فلا تتجشعى مشقة إرساله لنا .. »

\* \* \*

قالت ( عبير ) لمرافقها الإنجليزى ، وهما يتجهان

إلى بوابة التنين الذهبى ( وكل مدينة صينية تملك واحدة منها ) :

- « المهم ألا تتدخل مهما حدث .. »

كان يحمل العصا وسيفين ، وإن لم تكن الحاجة ماسة إليهما كما قلنا .. وقال لها لاحقاً :

- « لن تنجى .. ولو نجحت لبدا الجزء الثانى من الخطة .. »

- « وهو ؟ »

- « قتلنا والاستيلاء على القلادة .. ولكنك لم تخبرينى بأهمية هذه القلادة التى يحدث كل هذا بسببها ؟ »

قالت وهى تجد السير :

- « إنها مهمة وكفى .. أقسم إننى لا أعرف سر أهميتها ، لكن المعلم كان يعرف ما يقول .. »

ضوء الفجر الغامض الذى يأبى الاعتراف بأنه

أزرق ، ويرفض بكبرياء أن يكون أرجوانياً أو أحمر .. هذا الضوء يعمر كل شىء معلناً تلك الفترة التى يتردد فيها الوجود بين ليل ونهار ..

البرد يخترق الجلد ليدغدغ العظام ، والهواء النقى الذى ينسى المرء أنه موجود ، الطيور تصحو من النوم لتتساءل : أين وكيف ومن ؟ لاصوت سوى ارتطام أربعة أحذية بالكلا المبتل الرطيب .. ولا صوت سوى لهاث حامل السلاح ..

وأخيراً تلوح البوابة من بعيد مدثرة باللون الأرجوانى ..

لماذا هى بوابة التنين الذهبى ؟ سؤال غريب .. بالطبع لأن عليها نقشاً بارزاً لثنين يلتف حول نفسه ، ويطلق النار من منخريه وفمه ، وهو نقش ظلى بلون الذهب وراح يتوهج فى ضوء الشمس القادمة من بعيد ..

وكان الرجال ينتظرون .. وللمرة الأولى ترى

(عبير) (جياتغ - سه) ، وأدهشها أنها للمرة الأولى تبصر من يبدو شريراً إلى هذا الحد .. كل الأشرار الذين يقابلهم المرء هذه الأيام يبدوون أناساً عاديين .. لكن التنين (جياتغ - سه) كان شيطاناً بكل البشاعة التى تخيل بها الرسامون صورة الشيطان .. فى تلك الأيام السعيدة كان الأشرار يبدوون أشراراً بحق ..

كان واقفاً وسط رجاله .. وحوله مجموعة من الحكماء ذوى اللحى التى تلمس الأرض ، وكان هناك خمسة من الرجال شرسى المنظر كلهم عراة الجنوح ، واضح أنهم مصارعون أو شىء من هذا القبيل .. وبالطبع كان ابنه (سونج بياو) وسط الواقفين .. وفقت أمام التنين وحاولت أن تبدو متماسكة .. قالت :

- « قد جنت أيها التنين .. »

- « عرفت أنك آتية يا ذات الغمازتين .. ولم تتأخرى كثيراً .. »

ومد يده فى صدر رداءه فأخرج نصف القلادة ، ولوح به فى وجهها باسمناً ، وقال :

- « نحن الآن نلعب بوضوح .. وكلانا يعرف ما يريد الآخر .. »

ثم نظر إلى أحد الحكماء الملتحين من حوله وقال :

- « الحكيم (فاتج) سيكون هو الحكم .. والآن يمكننا البدء .. إننى مشتاق إلى الحصول على القلادة .. »

- « وأنا كذلك .. »

وبحركات آلية أخرج الحكيم كيساً من الأرز ، وفتحه ليبعث حباته فى الهواء معلناً بدء القتال .. وهى الطريقة التى يتبعونها فى بدء مباريات (السومو) اليابانية ..

المصارع الأول هو (كاي - ون - شياه) .. إنه أصلع الرأس ذو شاربين عملاقين يحيطان بفمه ، وله طريقة مميزة فى البصق على الأرض من فوق



اليد وللحظة تشعر كأنها شطرت الأرض ذاتها إلى  
شطرين ..

وبعد ثوان يتمدد ( كاي - ون - شيا ) ..

يشير لها الحكيم بيده اليمنى ، ويشير إلى الثور  
الرائد على الأرض باليسرى .. ويهرع ( جاك ) يقدم  
لها بعض منقوع الشعير الطازج ، على حين يتقدم  
المصارع الثانی ..

المصارع الثانی هو ( شيوى لينغ جيون ) وهو من  
أساتذة الوثب ، ويبدو أن هذا الأسلوب يدعى ( أسلوب  
الجنذب ) .. إنه رجل نحيل عصبى له ساقان طويلتان ،  
وهو يبدأ الوثب دوماً باتخاذ وضع القرفصاء ثم يفرد  
ساقيه ليخلق فوق الرعوس ، ويوجه بضع ركلات إلى  
الرأس فى أثناء التحليق .. إن أدائه جملى لكنه خطر ..

وكانت ( عبير ) تعرف على كل حال كيف تحد من  
خطره ، لأن المعلم شرح لها كثيراً أسلوب القضاء  
على الخصوم الوثابين ، وذلك بقفزة مضادة عرضية  
توجه ركلة إلى صدرهم .. وكراش ! لا بد أن هذا

كفقه الأيسر كلما شعر بالغيط ، وهو مغتاض دائماً  
بالمناسبة ..

( كاي - ون - شيا ) خبير فى أسلوب التمرغ  
على الأرض حتى يعرقل خصمه ويربكه ، ويبدو أن  
هذا الأسلوب يدعى ( أسلوب الخلد ) .. فلم تكذب  
( عبير ) تتخذ وضع بدء القتال ، حتى كان الرجل قد  
تكور حول نفسه ككرة واتسل بين قدميها ، وهكذا  
وجدت نفسها تنعثر فتسقط .. الجبل يثب فوقها لكنها  
تكور قبضتها بشكل رأس الكباش المعروف وتدفعها فى  
معدته ، ينهض صارخاً ويصق ثم يواصل الهجوم ..

يواصل الخلد محاولة حفر أنفاق تحت رجليها ،  
لكنها تركله فى خصره .. فى رنته .. فى وجهه ..  
وتمنعه من الإمساك بقدمها كى يسقطها أرضاً ..  
تنوذب من حوله وضميرتها تتطوح يمينا ويسارا  
فتخطف القلوب ، بينما ييصق بكثرة حتى إن المنطقة  
كلها صارت زلقة لاتصلح للوقوف .. وفى النهاية  
تجد الثغرة المناسبة فى عنقه فتتهوى عليها بسيف

الصوت الذى سمعتموه كان من ضلوع الرجل ، لأنه من  
المستبعد أن يضع بعض البسكوييت فى جيبه قبل القتال ..  
ويسقط ( شيوى لينغ جيون ) على الأرض ينزف  
من فمه ، ويتقدم الحكم ليعلن انتصارها ..

الآن صارت مرهقة بحق .. ليس عدلاً أن تواجه  
وحدها خمسة رجال محترفين ، وكان قلبها يخفق  
كالطبل والعرق يغمرها .. لكنها نظرت إلى التتتين  
الذى كان يعرض على نواجذه فى حلق ، فسررها أنه  
غاضب ، وأنها أفسدت يومه ..

إنها قوية .. قوية بحق .. وسوف تقهرهم جميعاً ..

يبعث الحكم الأرز فيتقدم الثالث ، ويدعى ( قو -  
هوا ) .. إنه خبير فى أسلوب القتال اليابانى المعروف  
باسم ( كاراتى ) .. والحقيقة أنه أتعبها بالفعل ..  
كان سريع الحركة يعرف أين تكون الضربة التالية ..  
وكان يتواثب كالسنور ويهجم كالأنقى ، مطلقاً تلك  
الأصوات الرفيعة التى تشتت انتباهها ..



وفى النهاية تجد الثغرة المناسبة فى عنقه فتهوى عليها بسيف البد  
وللحظة تشعر كأنها شطرت الأرض ذاتها إلى شطرين ..

لقد خارت قواها بعد المعركتين السابقتين ، وخطر  
لها أنها قادرة على هزيمة عشرين رجلاً بشرط  
ألا يكونوا من خبراء القتال الآسيوي .. إن الشراسة  
العادية مريحة جداً ويمكن القتال معها بسهولة ..  
أما هذا ..

فى النهاية وعندما أدركت أن المعركة ستطول  
قررت أن تصرخ ..

صرخة مريضة كانت .. صرخة عاتية كانت .. وللحظة  
شعرت بأنها ستنزع حبالها الصوتية .. وبالفعل كان  
عليها أن تسعل دماً بعد هذا .. الكثير منه .. ما يهم  
هنا هو أن الرجل تجمد مذعوراً وهو لا يفهم سبب  
ولا سر هذه الصرخة ، وفى اللحظة التالية أجهزت  
عليه ( عبير ) بركلات متلاحقة سريعة .. والضربة  
الأخيرة أرسلته للوراء مترين ليسقط على الأرض  
فاقد الرشد ..

المصارع الرابع هو ( لى - قوه - وان ) .. وهو  
يمتاز ب ... لا .. لن أحكى التفاصيل لأن هذا صار

مملأ لا يضيف جديداً .. إن وصف القتال - كما قلت  
مراراً - ممل كوصف الرقص أو وصف سيمفونية  
لبيتهوفن .. باختصار : لاجدوى منه لا بد من أن ترى  
الشيء الحقيقى لتفهم وتنفعل .. نتيجة المباراة مع  
المصارعين التاليين هى ( ٢ - صفر ) لصالح ( عبير )  
ولم يكن هذا هيناً لكنه حدث ..

فى النهاية وقفت تلهث وتنتفض أمام التنين ،  
وبصوت مبجوح قالت :

- « لقد انتصرت أيها التنين .. وحان الوقت .. »  
ومدت كفها بانتظار القلادة ..

ابتسم التنين فى سماجة ونظر لمن حوله .. ثم  
انفجر يضحك مطوحاً برأسه للوراء كما يفعل كل  
الأشرار فى تلك الأفلام .. ومعه راح الآخرون  
يضحكون .. وأخيراً قال :

- « هل تتوقعين حقاً أن أمد يدي إلى عنق وأعطيك

هنا قصر التنين :

يمكننا أن نرى عجلة التعذيب التى ربط إليها ( جاك دلبيرت ) الإنجليزى الذى انضم لـ ( عبير ) ، ويمكننا أن نرى القيود الحديدية المحيطة بعنقه وساعديه وكاحليه ، ويمكننا أن نرى كيف أن العجلة تستند بثقلها إلى قطعة حجر بارزة فى موضع اتزان خطر .. قطعة الحجر مربوطة إلى عشرة حبال ، وكل طرف من هذه الحبال يمتد مشدوداً إلى يد واحد من حراس عشرة يحيطون بالعجلة ..

لو جذب أحد الرجال - واحد فقط - الحبل لتحرك الحجر ، ولاختل توازن العجلة .. عندها تسقط .. تسقط أين ؟ تسقط فى بلر عميقة مليئة بسائل مشتعل .. إن الصينيين خبراء فى الحرائق ، وهم من اكتشف

- « لا أرى ما يمنع .. لقد كسبتها بشرف ، ولا داعى لأن تجعلنى أنتزعها بنفسى ؛ لأن هذا يتنافى مع كونى فتاة مهذبة .. »

بدا الخبث على وجهه وقال :

- « هلا قلت لى إن أين تلك الفتى الناعم الأوروبى الذى يراففك ؟ »

\* \* \*

البارود والألعاب النارية وأغلب أعيادهم عبارة عن سلسلة لا تنتهى من المفرقات .. لذا أؤكد لكم أن الموت ينتظر من يسقط فى هذه البئر ..

هذا هو المازق الذى ابتكره التنين السادة ، لـ ( عبير ) .. لو أنها كانت من الحماقة إلى حد أن تلتحم برجاله ، فلن تجد الوقت الكافى كى تمنع واحداً .. واحداً فقط .. من التخلّى عن طرف الحبل وعندها يسقط تابعها وسط النيران ..

وقفت ( عبير ) متصلبة ترمق هذا المشهد المروع ، وتكورت قبضتها فى عصبية ..

قال التنين فى ثقة :

- « كما ترين .. لقد اختطفنا الفتى وجئنا به هنا فى أثناء انشغالك بالمباريات .. وكما هو واضح فإبنا لن نحصل على الفلادة إلا بالقتال ، وأنت بارعة فيه .. أو بالحيل الفكرة التى أفضلها كهذه .. كما هو واضح قالفنى تحت رحمتنا تماماً ، وأى قتال من جانبك

سيزيد فرصة لحاقه بالجدود .. إن الغروب دان بعد قليل ، وقد اخترت ساعة الغروب كى يتخلّى رجالى عن حبالهم ما لم تبدى إيجابية أفضل »

من بين أسنانها غمغت :

- « أنت نذل .. أنت وغد .. أنت .. »

- « أعرف هذا .. لكنى أحب سماعه من الآخرين .. والآن الفلادة من فضلك .. »

- « ما زال أمامنا وقت قبل الغروب .. »

وجلس على درجات السلم تستعرض الموقف .. تأملت وجه الفتى فوجدته يرمقها بنظرة ملئحة كلها خوف وهلع .. نظرة من نوع : لا تلعبى - دور - البطلة - على - حسابى ..

جاء التنين فجلس جوارها ، وراح يضوع بعطر خاتق .. ابتسم بعد قليل فى شيطانية وسألها :

- « تحبينه .. هه ؟ »

- « من ؟ »

- « تابعك الإنجليزى هذا .. »

قالت فى عصبية :

- « لا بهم .. لا يجب أن أهتم به حباً كى أحاول

إنقاذه من الاحتراق .. »

نظر التتین إلى خارج النافذة ، وقال :

- « إن الغروب دان .. يجب أن تقررى سريعاً »

\* \* \*

هكذا نجد أنفسنا فى الموقف الذى بدأت به

قصتنا ..

القوم ينتظرون ما عساه يحدث ، و( عبير ) نفسها

وقفت على بعد أمتار من ( جيتاغ - سه ) ، تمضغ

ضعفرتها الطويلة فى نهم وجزع ، بينما اشتعلت

المشاغل فى كل صوب لتعطى الكلمة الأخيرة لهذا الجو

الكابوسى الخائق .. رائحة الشحم المحروق الممزوجة

بالعرق ، والدخان الذى يهيج الأحبال الصوتية ،

وحرارة الجو الثقيلة .. ثم الوهج !

آه من الوهج الذهبى الكريه للنيران يرسم على

الوجوه القلقة ألف ظل وظل ! ظلال تولد وتلاشى بذات

السرعة الخاطفة التى يولد فيها هذا القبس أو يخبو ..

ومنت يدها إلى صدرها تتحسس القلادة .. تستطيع

أن تتخلى عنها الآن .. إنها تراث الأجداد وقسم مقدس ،

لكن الضرورات تبيح المحظورات ..

مدت يدها إلى القلادة ، وعالجتها فى رفق ..

ولكن .. آى ! إنها ساخنة كالنار ! إنها قطعة من حديد

محمى يحرق الأتامل بلارحمة .. ككل مرة جربت

فيها عمل الشئ ذاته ..

كيف تعطيتها للتنين إذن ؟

. هنا سمعته يقول فى نوع من الفهم :

- « أعرف .. أعرف .. القلادة المسخورة تحاول

أن تظل سرّاً .. لكنها لن تصمد أمامى .. حاولى

بجهد أكثر ، وتذكرى أن هناك طرقاً سهلة للحصول

عليها .. أسهلها قطع رقبتك ! »

- « لا بأس .. لقد أطلقوا سراحك يا ( جاك ) .. »

هنا سمعت صوتاً .. كان صوت التنين بالذات يقول :

- « دعك من السذاجة .. إن الفتى لم يكن أسيرنا قط ! ترى ألم يخطر لك لحظة أنه مدسوس عليك ؟ »

مدسوس عليك ؟ حقاً ؟ اشرابت عيناها إلى عيني الفتى كي تتلقى الإجابة منهما مباشرة ، ولم يكن الجواب مطمئناً بحق .. كان الجواب يقول بحق : نعم لقد فعلتها ..

نظرت إلى التنين الذى وقف يستمتع بالمشهد ، وفى يديه نصف القلادة ، وتساءلت :

- « منذ متى ؟ من البداية ومع شراء النقائض نكلمى ؟ »

- « بل بعد المعركة الليلية التى هزمت فيها رجالى .. لقد أرسلت للفتى من يعده بالشراء وأول سفينة إلى وطنه ، لو سرق القلادة منك فى أثناء النوم ، أو استطاع أن يقتلك .. وقد قبل لكنه لم يجد الشجاعة الكافية ،

وهذه المرة قررت ( عبير ) أن تتخلى عن حملها مرة واحدة .. فلتسامحنى أيها المعلم العظيم ( هياو - شى - فانج ) .. لو كنت مكاتى لفعلت ما أقعله .. استجمعت كل ما تملك من إرادة ، وجذبت القلادة .. اشتعل المعدن فى يديها وشمّت رائحة اللحم المحروق ، وتطاير الشرر فى كل صوب .. لكنها تماسكت .. الدخان يملأ المكان ، وقد تراجع بعض جنود ( جيانغ - سه ) للوراء وهم يدارون وجوههم .. الرائحة .. الدخان .. اللهب .. الألم ..

وفى النهاية سقطت القلادة على الأرض ، وبعدها سقطت ( عبير ) فاقدة الرشد ..

★ ★ ★

أفاقت من الغيبوبة لتجد نفسها ما زالت وسط هؤلاء القوم ، و ( جاك ) يسقيها بعض العصير من دورق كبير .. كان ألم الحريق يمزق ويعتصر جلدّها .. جلد كفيها وجيدها .. لكنها قالت فى رضا :

وهكذا شارك معنا فى تمثيلية عجلة الموت هذه .. «

- « أنت وغد ! »

- « صار كل هذا المديح مملأ .. إن الحيل القدرة

هى البحر الذى يحب التنتين أن يسيح فيه .. «

- « أتكلم عنه لا عنك .. »

والحقيقة هى أن ( عبير ) وجدت هذا مفهوماً ..

اليس ( جاك ) هذا هو ( شريف ) كما يراه عقلها

الباطن ؟ إذن فالخيانة سلوك وارد جداً ، وكان عليها

أن تعرف هذا وتتوقعه .. إن من يتلقى خطابات

عاطفية ممن تدعى ( رانية ) ويحتفظ بها ، لجدير

بأن يتظاهر بأنه فى صفها حتى يجد فرصة لقتلها ..

قالت بلا مبالاة دون أن تنظر إلى ( جاك ) :

- « أعتقد الآن أنك ستتخلص منه بعد ما حصلت

على القلادة ؟ »

اتسعت عينا ( جاك ) رعباً ونظر إليها وإلى التنتين ،

أما التنتين فقال دون أن يرفع عينيه عن القلادة :

- « بالتأكيد .. بمجرد أن أفرغ من هذه .. »

- « إذن أرجو أن تمنحنى هذا الشرف ! »

- « لك هذا .. لقد كنت محاربة شريفة بالتأكيد »

تحول ( جاك ) إلى طفل مذعور ، ويبدو أنه بلبل

سرواله .. وارتجفت شفتاه وهو يقول للتنتين :

- « لماذا ؟ لماذا ؟ »

- « لأن الأفعى لا يمكن تربيته يا بنى .. إنها قد

تصلح للدغ أعدائنا ، لكنها ستلدغنا عند أول فرصة .. »

وزار النمر الأليف لـ ( جياتغ - سه ) وهو يحاول

التملص من قيوده ، وكان قد تعلم من المحادثات

التي تطول بهذا الشكل أن الطعام قادم .. كل جدل مع

التنتين ينتهى بالعشاء .. هذا مؤكد ، وقد بدأ لعبه

يسيل وعصارة معدته تندفق طيقاً للقوانين البافلوافية

الصارمة عن الانعكاس الشرطى ..

قال التنتين وهو يعود إلى عرشه :



- « الآن فليأت الحكماء .. أريد قراءة المكتوب على هذه القلادة .. ضعوا هذين فى السجن حتى أفرغ »

\*\*\*

فرغوا من الترجمة عند منتصف الليل ، وقد وضعوا نصفى القلادة على وسادة موشاة بالذهب ، وراحوا يفحصونها باختراع صينى عجيب بعض الشيء ، عبارة عن دورق من الماء المقطر له قدرة غير عادية على تكبير الصورة .. يبدو أن الغربيين يملكون شيئا مماثلاً يطلقون عليه اسم العدسة المحدبة ، لكن ما من صينى يحترم نفسه يثق باختراعات الغربيين خاصة إذا كانوا هولنديين ، وكان اسمه (لى فان هوك) .. كانت العبارات مكتوبة بلغة صينية قديمة جداً ، تعود لعهد قبائل ( الشانج ) والتى كانت تعبد ( الشانج ناى ) ..

أخيراً قال أحد الحكماء ويدعى ( فنج - لى ) للثنين ، وهو يلمس الأرض بجهته :

- « المجد لك أيها الثنين العظيم .. إن هذه الطريقة خطيرة جداً ولا أحد يضمن ما يحدث .. »

قال الثنين وهو يجرع المزيد من الشراب :

- « لا أحد يحصل على الأرز من دون أن يمشى فى الأحوال .. »

- « إننا سنفتح باب الجحيم ، وعندها لن نستطيع التراجع .. »

- « لاتزعجنى أكثر! »

هذه كانت من الثنين طبعاً ، وطوح الدورق ليصطدم بالجدار ويتهدم إلى ألف قطعة ، ثم إنه جرد سيفه ونهض ملوحاً به :

- « فليقل من يأبى مساعدتى ذلك الآن .. وأنا كفيل بأن أريحه من آلام كثيرة آتية »

وتبادل الحكماء النظرات وأدركوا أن عليهم القبول ..

\*\*\*

## ١١ - إنها تعمل !

بدأت التجربة عند مساء اليوم التالي..

كان الظلام والبرد يغطيان المدينة ، لكن مسيرة  
التنين ورجاله وحكمائه كانت تبدد البرد والظلام بكل  
المشاعل التي يحملونها ، وهم يتجهون إلى خارج  
المدينة .. إلى مقبرة المحاربين التي توجد على بعد  
ألف خطوة من أسوار المدينة ، وهي عبارة عن كهف  
واسع في الجبل ، لا يجسر أحد على الدنو منه ..

\*\*\*

« الفكرة هنا أن ما كتب على القلادة رهيب ، ويفتح  
أبوابًا من الشر لم يحلم بها الحكماء قط .. فقط حين  
يلتحم النصفان يكتمل الهول ، ويعرف الإنسان ما لم  
يكن له أن يعرف .. »

\*\*\*

وكان ( جيانغ - سه ) بحاجة إلى القوة ، وقد عرف  
من الأسلاف والشيوخ مقدار تلك القوة السديمية  
التي تمنحها القلادة الكاملة لمن يملكها .. لكن من له  
بالقلادة الكاملة الآن ؟ .

\*\*\*

« لو وجد ( جيانغ - سه ) هذا النصف ، فلسوف  
ترتجف الأجنة في بطون أمهاتهم لهول ما سيسمعون .. »

\*\*\*

وسط الحراس تمشى ( عبير ) وجوارها ( جاك ) ،  
وقد كبلا بالفلكة على الطريقة الشهيرة ، التي تجعل  
الرأس والكفين يخرجان من لوح خشبي يحمله  
السجين على كتفيه .. وكلاهما لا يعرف ما عليه  
أن ينتظره .. إنه الموت طبعًا ، ولكن كيف ؟ هذا هو  
السؤال ..

وتمنت ( عبير ) لو يظهر ( المرشد ) الآن ليخلصها  
من كل هذا ، لكنها تعرف جيدًا أن القصة الآن في

الذروة ولم تبدأ النهاية بعد .. مثلما يغطى اللين ويحتشد  
عند حافة الإناء قبل أن يهدأ أخيراً ويستقر ، وما كان  
( المرشد ) ليتجاهل قواعد القصة أبداً إلا حين تتمنى  
هى أن تبقى أكثر ..

المشاعل فى كل صوب من حولهما ، بينما  
المسيرة الغامضة تتقدم نحو مقبرة الجنود ..

يقف التنين أمام باب الكهف ، ثم يأمر من معه  
بالتراجع جميعاً فلا يصحب إلا الحكيم المرتجف  
( فنج - لى ) ، ويحمل كلاهما مشعلاً .. ثم يتذكر شيئاً  
فيشير إلى الجند كى يتركوا ( عبير ) تلحق بهما ..  
- « أريدك أن ترى هذا .. فهو من حقك بالتأكيد .. »

فك الجنود ذلك اللوح الخشبي المقيت من حول  
عنقها .. ثم تقدم الثلاثة إلى الكهف ..

وكان الكهف من الداخل عطن الراحة ، والوظاويط  
تحتشد على الهوايط من السقف لكنها لم تخش الضوضاء  
لحسن الحظ .. يمشون فى كثير من المشقة وسط

الصخور البارزة وفى الظلام الذى لا تبدده المشاعل  
إلى هذا الحد ..

وفى النهاية يتوقف التنين أمام جدار صخرى  
عماق ويرفع المشعل ..

عندها تراهم ( عبير ) بوضوح ..

\* \* \*

كانوا مختلطين بالصخر كأنهم حفريات عتيقة ..  
وساعد على هذا الانطباع أنهم كانوا ضخام الأجساد  
إلى حد مروع .. ربما يصل طول الواحد منهم  
إلى ضعفى قامتنا .. وكان الكلس يغطى ملامحهم  
ودروعهم ، لكنك تستطيع أن تتبين أنهم غلاظ الملامح  
بشعور الخلقة كالوحوش .. وكانوا يرتدون ثياب  
القتال ، وقد تجمدوا فى أوضاع عشوائية كأنهم  
لوحة جدارية مهيبة الضخامة .. لوحة ترتفع  
بطبقاتها إلى عشرة أمتار فوق مستوى البصر ..

يخرج التنين سيفه فتوقع ( عبير ) ما سيحدث ..  
لا تعرف ما يقوم به بالضبط ، لكنه فى الغالب يتضمن  
أن تسيل دماء عذراء هنا .. كل هذه الطقوس

السحرية تتضمن دماء عذراء ، وفى الغالب سيتم ذبحها الآن ..

لكن التنين كان مجدداً غير نمطى .. لقد استل السيف ومزق به ساعده هو شخصياً .. ويسيل الدم .. دم كثير راح يبعثره حول المكان ويلوث به الجدار الحجرى ، بينما الحكيم يضع نصفى القلادة أمام عينيه قصيرتى النظر ، ويغمغم بعبارات متغمة يبدو أنها نوع من الابتهاال ..

الخطوة التالية كانت أن التنين لامس بالشعلة جسده هو شخصياً ! نعم لامزاح هنالك .. لقد بدأ بإحراق نفسه بأعصاب جليدية لا تهتز ، ولاننكر أن المنظر راق لـ ( عبير ) كثيراً برغم أنه مريع .. هناك أمل لآباس به أن يتحول التنين إلى شعلة ويموت ..

لكن الأمور ليست بهذه البساطة للأسف .. فقط اشتعلت النار فى عبايته بضع ثوان ، فراح يتمرغ فى الأرض والجدار الحجرى وهو يصرخ بعبارات لم تفهمها ، كأنه جن تماماً ..

وأخيراً همدت حركته .. فرقد على الأرض كمرضى الصرع الذين انتهت توبتهم ..

فقط راح جسده يرتعش من آن لآخر ..

لاشئ سوى الصمت .. رائحة الشحم يحترق على المشعل .. الدخان .. صوت خافت لحفيف النيران والأنفاس الثقيلة .. ثم ..

ثم بدأ أول الجنود يتحرك ..

\*\*\*

تراجعت ( عبير ) فى هلع للوراء ، وهى ترى هذه المسوخ تهشم الصخر .. يتناثر الغبار من حولها .. تبذل جهداً عاتياً كى تتحرر .. إنها لم تر تمثال العبد لـ ( مايكل أنجلو ) ، ولو رآته لتذكرته الآن .. هذا التمثال غير المكتمل الذى أثار رعب النحات نفسه .. إذ بدا له وكأن العبد يحاول التحرر من الصخرة التى تحيط به ..

أول الجنود يتحرر من الجدار ، ويهبط على أرض الكهف ، والغبار يتناثر منه وصوت قدميه الثقيلتين

إذ تضربان الأرض الحجرية يثير الفرع في القلوب ..  
الغريب أنه كان مدججاً بالسلاح ، وكان لسلاحه قفقة  
رهية .. جندي آخر يتحرر ..

الكهف يهتز من فرط هدير الأجساد المتساقطة ..  
كانوا في حالة جيدة ، إذا ما تجاوزنا عن القروح في  
جلودهم ، وبعض الأنسجة المتحللة التي بدت من تحتها  
العظام .. هذه أشياء لا تعوق القتال على كل حال ..  
حوالي ربع ساعة .. استغرق الأمر نحو ربع ساعة ..  
حتى تحرر كل الجنود المسجونين في الجدار ، وكان  
الزحام شديداً كما لنا أن نتوقع ، لذا احتشد أكثرهم  
في أعماق الكهف .. وكان لهم صوت منفر شبيه بخوار  
الثيران .. حتى عضلاتهم تحدث صوتاً ..

ماذا كان من ( جيانغ - سه ) في هذه اللحظات ؟  
كان يرتجف انفعالا ويرتجف رعباً .. ويضحك  
بالهستيريا المناسبة ..

ماذا كان من الحكيم ؟ لقد فقد وعيه طبعاً ..  
ماذا كان من ( عبير ) - ( فو - لي ) ؟ كانت تترنح



وأخيراً همدت حركته .. فرفد على الأرض كمرضى الصرع الذين  
انتهت نوبتهم ..

محاولة ألا تتقيأ .. وكان ما تراه لا يصدق .. هذا هو  
إذن سر القلادة الغامض ؟

كان ( جياتغ - سه ) يردد :

- « الأجداد ! ( شاتج تاي ) ! جنود ( الشاتج )  
العظام الذين لا يشق لهم غبار .. بهم ساحكم العالم !! »

وكان الكهف قد تحول إلى ما يشبه حافلات وسط  
القاهرة عند الظهيرة .. وهكذا أشار لها التتتين كى  
تخرج ، ولطم الحكيم على خده كى يفيق .. وفى  
الخارج كان الواقفون قد سمعوا الأصوات الرهيبة ،  
وفهموا بعض الحقيقة وليست الحقيقة كلها .. خروا  
على ركبهم ورفعوا المشاعل غير مصدقين ..

فى البدء خرج سرب كثيف من الطوايط المذعورة  
كأنه نذير بما سيحدث ..

التتتين يتقدم شاحب الوجه .. ووراءه الحكيم أقرب  
إلى الجثة .. ثم ( عبير ) المرتجفة التى تلاشت  
شجاعتها تمامًا .. بعد هذا بيرز أول الجنود .. يمشى

فى تودة وثقة .. له عين تحولت إلى تجويف أسود  
كريبه ، ووجه خال من التعبير .. يقف على منخل الكهف  
وينظر من حوله ، كأنه الكابوس فى ضوء المشاعل ..  
هووووووووه ! صيحة ردها الواقفون رهبة  
وهلغا ..

وصاح صائح منهم وقد تذكر شينا كهذا :

- « جنود ( الشاتج تاي ) ! لقد أخرجهم من  
سباتهم كما فعل الساحر الهندى منذ أعوام .. »  
وقال قائل :

- « إذن هم موتى ؟ »

- « بل هم فى سبات عميق ، لكن القلادة تخرجهم  
منه .. »

وبعد قليل بدأ المكان يزدحم بالجنود الخارجين من  
الكهف .. حوالى ألف منهم كلهم له ذات القامة الضخمة  
والتسليح المكتمل ، وذات الحركة المتصلبة المفزعة ..  
زومبى لو كان هذا اللفظ معروفا فى الصين ..

أخيراً استطاع التنين أن يقف أمام الحشود ،  
وصاح :

- « أيها الجند الشجعان ! اتبعونى ! إنكم معى  
تملكون العالم !! »

لم تبد علامات اهتمام على وجوه المسوخ الخارجة  
من الكهف ، فعاد التنين يكرر فى غيظ :

- « اتبعونى ! إنكم معى .. سوف .. »

هنا أغمد أقرب الجنود إلى التنين رمحه بين  
لوحي كتفيه ، ورفع بالرمح فى الهواء كأنه راية  
خفاقة .. خفاقة من الألم طبعاً !

\* \* \*

## ١٢ - الطوفان يجتاح المدينة ..

يا للمذابح ! إنها جميعاً تتشابه بطريقة مملة ،  
لكن هذه المذبحة بالذات تختلف ؛ لأنها مذبحة يقوم  
بها جنود متحللون خرجوا من الكهوف حالاً ..

دعنى أؤكد لك أن المشهد لم يكن جميلاً .. دعنى  
أؤكد لك أن دماء كثيرة سالت .. دعنى أؤكد لك أن  
الصراخ كان يشق عنان السماء .. دعنى أؤكد لك أن  
جل أعناق رجال التنين قد طارت من فوق الكتفين ..

لقد حسب التنين أنه قادر على السيطرة على هذه  
الوحوش التى لا يمكن ترويضها ، وكان أول من دفع  
الثن .. ثم لحق به ابنه وهو يحاول الفرار ..

ووجدت (عبير) نفسها وسط غبار القتال ، ووجدت  
مشغلاً ساقطاً على الأرض فالتقطته ، ومدت يدها  
تعين الحكيم على النهوض .. لا يجب أن يموت .. ليس  
الآن .. ليس قبل أن تفهم ..

كان الإنجليزي (جاك) يحاول الهرب والفلكة ما زالت  
تحيط بمعصميه وعنقه ، هنا لحق به أحد الجنود ..  
كان بلا ذراع أيسر ، لكن ذراعه اليمين كانت تحمل  
سيفاً صديداً عملاقاً ، وكان هدفه بسيطاً : أن يحرره  
من قيده بالطريقة الصعبة .. يعنى من دون تحطيم  
لوح الخشب !

بكى الفتى متوسلاً ، لكن الوحش كان - بحق -  
وحشاً ..

هنا قررت ( عبير ) أن الانتقام جميل ، لكن ليس  
بهذه الصورة وليس أمام عينيها .. رفعت المشعل  
وصرخت صرخة ( تشوب سيوى ) الشهيرة ، فتجد  
الجندي مذهولاً .. كان هذا كافياً لتدفن المشعل فى  
وجهه ، ثم تحلق فى الهواء لتركله ركله قوية ،  
وتهبط على الأرض لتدفع الدجاجتين : الإنجليزي  
والحكيم إلى مكان آمن وسط هذه الفوضى ..

كان هناك منحدر على اليمين فلم تتردد فى أن تقذفهما  
فيه قذفاً ، ثم تثب خلفهما .. وهاهم أولاء يتكحرجون بين

الأشواك فى الظلام ليسقطوا فى بركة صغيرة عند  
أسفل المنحدر ..

أخيراً يمكنها اللهاث والتقاط الأنفاس ، بينما  
المذبحة مستمرة هناك عند قمة المنحدر ..

\* \* \*

قالت للحكيم وهى تغسل وجهها بالماء :

- « جميل جداً ما قمتم به .. أهنئك ! »

قال لها مذعوراً :

- « لقد أذرناه ، وقتلناه : إن شيئاً كهذا حدث مع

الساحر الهندى لولا أنه كان يعرف ما ينبغى عمله ..

لكن منذ متى يصغى التنين لأحد ؟ »

- « وهل هؤلاء الجنود موتى ؟ »

- « لقد تم تجميدهم منذ قرون فى حالة سبات

لا تنتهى إلا بطقوس معينة وفى حضرة القلادة ،

وفى كل مرة كان من يعيدهم إلى العالم يدرك مدى

ما تورط فيه ويجمدهم من جديد .. »



- « جيمبيبيبيبي ! كيف كان هذا يتم ؟ »

- « لا أحد يعرف ! ولهذا تخلص أبو ( جيانغ - سه ) من القلادة كى لا تقع فى يد الحمقى .. »

فكرت ( عبير ) قليلاً ، ثم عادت تسأل الشيخ المبتل :

- ماذا كان يبغي من إعادتهم ؟

- « سؤال غريب يا ذات القمارتين .. لماذا يرغب شرير فى الحصول على جنود لا يمكن قهرهم ويمتثلون لكل أوامره ؟ هه ؟ إن الحياة ملأى بالألغاز حقاً .. » صمتت ( عبير ) وانتظرت حتى يأتى الصباح .. فقط هشمت بسيف يدها الخشب المحيط بعنق الفتى وساعديه ، وقالت له دون حبور :

- « أنت حر .. يمكنك الرحيل لو أردت .. »

★ ★ ★

وما كان الصباح ليطلع على أكثر سكان المدينة لأن

الجند اكتسحوا كل شىء ، وأعملوا سيوفهم ورماحهم وقبضاتهم فى أهل المدينة ، ولم يكونوا ممن يسبون النساء كعادة الغزاة ، بل كل ما يريدونه هو القتل ..

أشعلوا النار فى الشوارع ، وبعثروا المحاصيل وسكبوا جرار اللبن ، وهدموا المعبد ، وحطموا تماثيل ( بوذا ) .. وسال اللبن فى الطرقات مختلطاً بالدم ، وحاول بعض التصعاء أن يقاوموا .. لكن قوة الغزاة كانت قاهرة .. كان الواحد منهم قادراً على أن يطوح بثلاثة رجال ؛ ليرتطموا بجدار على بعد عشرين خطوة .. المشكلة هنا أنك لا تعرف ماذا يريدون بالضبط ولا ما يحاولون إثباته .. هم لا يريدون مالا ولا سلطاناً ولا شهوات ولا طعاماً .. الاستسلام لا يجدى معهم .. إنهم يتمتعون بنفوس طاهرة عفيفة لا تبغى سوى القتل والذبح .. لا أكثر ولا أقل ..

★ ★ ★

وصحت ( عبير ) حيث رقدت جوار الغدير .. لم يكن ( جاك ) موجوداً .. ورأت الحكيم يحدق فى عنقها وقد اتسعت عيناه دهشة ..

- « عنقك يا ذات الغمازتين ! عنقك ! »

قالت فى ضيق :

- « ماذا عنه ؟ لم أحسبه بهذا الجمال قط .. »

قال وقد بدا كالمخبول :

- « لقد التهب القلادة حول عنقك ، وتركت علامة بارزة هناك .. هذه العلامة تمثل رموزاً بارزة محفورة على ظهر القلادة ، ولا يمكن تبينها من الوجه لأن النقشيين لا يتطابقان .. »

فى غباء تساءلت :

- « كل هذا جميل .. لكنى لا أفهم .. »

- « آثار الحرق على عنقك هى نقوش تحكى لنا كيف نتخلص من سحر القلادة ! »

بدا عليها الفهم أخيراً وتحسست عنقها .. معقول .. لقد صارت الوصفة السحرية المضادة منقوشة على عنقها إذن .. ولكن :

- « لحظة .. لابد أن هذه نصف الوصفة .. »

فتح كفه ليكشف عن نصفى القلادة ، وقال وهو لا يخفى إعجابه بذكائها :

- « نعم .. لكن القلادة معى هنا ، ويمكن أن نضم النصفين معاً .. »

- « أفهم من هذا أنك تنوى حرق عنقى بالنصف الثانى من القلادة لتتكامل الرموز ؟ »

- « ليس إلى هذا الحد .. يمكننا أن نطبع الأثر على الطين ونرى .. »

وهكذا غمس الحكيم نصف القلادة الأول فى الطين لطبع ما عليه ، ثم غمس النصف الثانى جواره .. وتأمل الأثر بعض دقائق ، ثم تدلى فمه فى خيبة أمل ، وقال :

- « للأسف .. يبدو أن القلادة معدة كي لا تسخن  
منها إلا الأجزاء التي تعطينا الرسالة .. »

صاحبت ( عبير ) محتجة :

- « لا تقل إنك ستحرق عنقي لمجرد قراءة الرسالة  
كاملة ! »

ابتسم العجوز ولم يقل شيئاً ، إنما أخرج من  
عباءته قطعة من الكبريت ملفوفة في الجلد ، وحكها  
في حجر جاف فاشتعلت .. وضع نصفى القلادة عليها  
وانتظر حتى التهب المعدن وتوهج .. ثم ضغط النصفين  
على جلد ساعده الأيسر .. وأبيبيبيبي ! تصاعد الدخان  
ورائحة الشواء .. واستطاعت ( عبير ) أن ترى النقوش  
واضحة على الجلد العجوز المجعد ..

صاحبت في جزع :

- « لماذا فعلت ؟ كنت أحتج فحسب .. »

- « الوقت .. آى ي ! لا يناسب الاحتجاجات ! »

وقربت رأسها من رأسه ، وأصفت إلى فمه العجوز  
المتهدل وهو يلفظ بكلمات السر ..  
السر كاملاً ..

\* \* \*

وفي المدينة - التي لم تعد كذلك - كان الجند  
منهمكين في القتل والتزييق والسلب .. بعضهم تأثر  
نوعاً بالمقاومة فصار بلا رأس أو ذراعين ، لكنه  
كان مصمماً على الاستمرار ..

اليوم يفرغون من المدينة المسحورة ، وغداً يخرجون  
إلى العالم الخارجى .. ومن هناك تندفع جحافلهم ،  
وهم لا يطلبون شيئاً من العالم سوى استرجاع أيام  
المذابح السعيدة ..

إن ألف جندي ليس بالعدد الهين ، خاصة إن كانوا  
من هذه العينة ..

فما يدرون إلا و ( عبير ) تبرز لهم في الشارع  
الرئيسى بالمدينة أمام ساحة المعبد الذى تحول إلى  
خراب .. كانت تحمل سيفاً عملاقاً في يدها ، وتلوح  
به فوق رأسها ، وصاحبت بأعلى صوتها :

« هلموا يا طعام الديدان ذوقوا هذا السيف .. »

تقدم عشرة منهم دون كلمة واحدة ، وقد انفتحت أفواههم لا نيسيل اللعاب بل الدم .. خطواتهم تهز الأرض هزاً ، وخوارهم يصم الآذان ..

صاحت صيحة حرب قصيرة ، ودارت حول نفسها فى الهواء ، ثم هبطت على ساقىها لتولج السيف فى جسد اثنين منهما .. وقبل أن يفر الثالث بادرته بضربة بين عنقه والكف ..

إنهم يموتون ! بالحق هم يموتون !

وتدور ( عبير ) حول نفسها من جديد وتجثو على الأرض ، لتضرب بالسيف سيقان اثنين منهم ، ثم تنب فى الهواء لتطعن ثلاثة منهم ، ثم تتخرج على الغبار وتنهض لينغرس السيف فى عنق واحد آخر ..

وهنا التف ذراع حديدى حول عنقها ، ورأت نوابة السيف تدنو من عنقها ..

لقد نسيت العاشر ؟ أين كان ؟

الذراع القوية تحملها فى الهواء ، وتوشك على .. على ..

هنا تخلت عنها القبضة قليلاً ، وسقطت على الأرض .. رفعت رأسها لتجد الفتى الإنجليزي بوجه اللكمات إلى خصر المعتدى .. لكمات مضحكة جداً تشبه الدغدغة لكنها شنتت اهتمام المسخ قليلاً ..

وهوى السيف لا عليها هذه المرة ، ولكن على الفتى المتحمس .. لا بد أنه شطره إلى نصفين طولياً .. أنا لم أر المشهد لكن ( عبير ) رأته ، وسرعان ما غرست سيفها فى بطن المسخ ، فأصدر خواراً ثم هوى على الأرض .. يوم !!

كانت تلحق بـ ( جاك ) لترى ما دهاه ، لكنها وجدت أن هذا غباء ومضيعة وقت .. الاحتضار ترف لا يملكه من شطروا نصفين بسيف محارب سن ( الشاتج تاى ) .. ربما استحق ما حدث له ، أو لم يستحق .. لكن ميتته تجعلها تسامحه على كل شيء .. لقد غسل بدمه حقدها عليه ..

استدارت إلى الجنود القادمين وصاحت :

« بحق ( تاي ) العظيمة .. تراجعوا .. »

ثم لوحت بالسيف الملوث بالدماء وهتفت :

« الآن تعرفون هذا السيف ، وتعرفون أنكم  
ذقتُم ويلاتِه من قديم ، وتعرفون أنه يستطيع أن  
يمزقكم حتى لو كنتم ألفاً نقصت عشرة .. وإننى  
لأمركم بالعودة إلى سباتكم .. »

ثم - بالصينية العتيقة التى حفظتها من الحكيم -  
هتفت مراراً :

« هوان يان تشاه .. هوان جينغقانغ تشاه .. »

ومعناها - إن لم تخنى الذاكرة - هو : من الصخور  
جنتم .. وإلى الصخور تعودون ..

عندها فقط تراخت أجساد الجنود العملاقة المتحلبة ،  
وفى صمت بليغ بدأت المسيرة الصامتة البطيئة إلى  
الكهف .. ألف جندي يتقدمون نحو الكهف الذى  
جاءوا منه ليلتحموا بالصخور من جديد ..

وبدأت ( عبير ) تلهث ، وتستعيد دقات قلبها ..

هنا فقط تركت السيف يسقط من يدها .. وراحت  
ترتجف ..

ترتجف وسط الميدان الخالى إلا من الجثث وبقايا  
النيران ..

\* \* \*

وحين جاء ( المرشد ) بعصاه يدعوها للحاق به  
قالت له :

« أخيراً .. »

تأبط ذراعها ، ومشى وسط كل هذا الهول طالباً  
مخرج المدينة .. وسألها فى الطريق :

« لم أفهم موضوع السيف هذا .. إنه غريب  
على .. »

« هذا السيف المسحور قادر على إبادة هؤلاء  
المحاربين ، وهم يعرفون هذا ويهابونه حقاً .. وقد

دفنه فى الصخور جوارهم آخر من استحضروهم ..  
كان هذا مكتوباً على ظهر القلادة .. »

- « جميل .. جميل .. أنت لم تضيعى وقتاً .. »

- « فقط كان السيف بحاجة إلى من يستخرجه وإلى  
من يزيل عنه الصدأ .. كان بحاجة إلى تشحيم .. »

سألها فى عدم اكتراث كعاداته وهما يخرجان من  
بوابة التنين الذهبى :

- « وما نوع التشحيم الضرورى لسيف كهذا ؟ »

- « القلادة اشترطت أن يشحم بالدم ! دماء شيخ  
عجوز على وجه التحديد ! »

ثم نظرت للوراء وهمست :

- « رحمه الله ! لقد قام بهذه المهمة بنفسه ..  
ولو لم يفعل لما كنا هنا !! »

★ ★ ★

فى القصة القادمة نعود لعالم الأساطير الإغريقية ،  
ونتعرف أشخاصاً مثل : ( بارييس ) و ( أخيل )  
و ( هكتور ) والقاتلة ( هيلانة ) .. حيث أشرس  
معركة عرفها الإنسان ، وحيث توجد مهمة واحدة  
فى غاية الأهمية هى إنقاذ طروادة .

★ ★ ★

تمت بحمد الله

فانتازيا

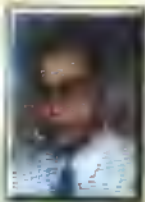
مغامرات ممتعة  
من أرض الخيال

روايات

عربية الخيال

## فليدخل التنين !

وفي الخارج كان الواقفون قد سمعوا  
الاصوات الرهيبة ، وفهموا بعض الحقيقة  
وليسست الحقيقة كلها .. خروا على ركبهم  
ورفعوا المشاعل غير مصدقين .. فى البدء  
خرج سرب كثيف من الوطاويط المذعورة كأنه  
نذير بما سيحدث ... بعد هذا يبرز أول  
الجنود .. يمشى فى تؤدة وثقة .. له عين  
تحولت إلى تجويف أسود كربه ، ووجهه خال  
من التعبير .. يقف على مدخل الكهف وينظر  
من حوله ، كأنه الكابوس فى ضوء المشاعل ..



د. أحمد خالد توفيق

القصة القادمة

من أجل طروادة

التمن فى مصر ٢٠٠٠  
وسامباردة بالتولار الأمريكى  
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والصور والتوزيع  
٢٠٠٠

